NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESI

Kısmı :	Nuruosmaniye
Yeni Kayıt No.	2909
Eski Kayıt No.	3413
Tasnif No.	

٢٤١٤

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

عثمان

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسلة نخبة آل عثمان مشكاة انوار انواع الاحسان

مصباح مشارق مجالس المبرات محيي السنة امام الامة السلطان ابن السلطان

السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان

لازالت ايامه مصابيح الآمال وساعته الحميدة مفاتيح ابواب الآمال

وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش

باوقاف الحرمين المحترمين

عفي عنه

ابراهيم حنيف

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله
الحمد لله الذي نقح بحكمته خلايق الخلايق واوضح بمليته
طرايق الحقايق فابان ما بينها بتارج النفحات وابان
ما بينها بتوهج اللفحات واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة تشفي العلل وتطفي الغلل وتنزح
الجلل وتزيل الخلل واشهد ان محمدا عبده ورسوله ۝
ارسله على فترة من الرسل وانقطاع من السبل فادى
الرسالة وازال الضلالة ونفى الجهالة وبلغ كل من
كتب الله له حظا من السعادة اقوى قوته من السيادة
فاغترف كل بقدر انائه وما نقصت قطرة من مائه
وحلى صلى الله عليه وسلم في حلبة السبق اذ اشراف
الخلق بعده صلوا وحلى جبهة الفخر اذ الانبيا عليهم
السلام خلفه صلوا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ما
انفرجت خطرات خطرات الدهر وابتهجت نظرات
نظرات الزهر وبعد فقد ورد على العبد الفقير

الى الله الغني عما سواه محمد بن الخطيب العثماني الشافعي
عفا الله عنه من سيف الاسلام وحسنة الايام وعضد
الامام ورحل الانام مرابط زمانه وذابط اوانه
سيف الدين اسندمر المنصوري كافل المملكة الاسلامية
بالبلاد الطرابلسية ابقاه الله للمكارم يعمر سبلها
ويعمر سبلها وخلده للاسلام يجعل حرمه امنا وكل من
من تحرك عليه ساكنا ومن تحرك اليه في ظله ساكنا
واحياه للعلم ينشر خبره ويشرح حبره ويوثر ما اثره
ويوثر اثره كتاب كلم ندي النفحات ندي اللفحات
نوري اللمحات نوري الصفحات بابلي رحيق سكره
بابلي حريق سحره بشوق منظره وبروق مخبره فعظم
في النفوس موضعه وحسن من القلوب موقعه ۝
وراقت وراعت ابن لبونه براعة كاتبه وبراعة
مضمونه وعلم كاتبه ان قاريه لا يستطيع صولة البزل
القناعيس وان شروه علمه يجعل ناظره من جملة المفاليس

وعرف ان الامير بن اعز الله انصاره حوى فضيلتي العلم
والعلم والسيف والقلم متشنف بالفضايل الانسانية
متشوف الى الفواضل الربانية طالب معرفة اولى المراتب
واولى المناقب ليكون في الخلف من اجل حزبهم ومع السلف
في ان الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم بلغه الله درجات
العارفين وجعله في الدارين من الدارين بمنه وكرمه
والكلام في هذه المسايل وان كثر فهو قليل
وان قلل فهو في نفس الامر جليل وكيف لا وقد اضطربت
فيها الآرا واختلفت فيها المذاهب والاهوا وقد وقف
العبد الفقير من الاختصار لا الاقتصار على حسب المراسم
وبلغ بها الحدود على ما رسمته المراسم وكتب الجواب
مختصرا مجملا اولا واخرا مجردا مفصلا فالاول يحصل القصد
المقصود والاخر لم يخرج به عن الحد المحدود ه فان
انتهضت الى سماع الاخر الدواعي والا كفى الاول في
الدعاوي مع ان كل دعوى عليها دليل من اجماع او سنة

او تنزيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولعل
السوال عن هذه المسايل انما حركه ان القصد الشريف
نجانجوحث الناس على الخير وما عند الله تعالى من الثواب
على تعلم العلم وعلى الجهاد وردع البدع الفاسدة والمذاهب
المنتحلة ثم ان في تلك الجهات طوايف متشتتة الاهوا
ومع شتاتها فهي مجتمعة القلوب والعقايد على بغض الصحابة
وسبهم فحسن السوال واشباع الجواب مع الاختصار
وايضاح ادلة تفضيل الشيخين رضي الله عنهما وايضاح ما كان
سبب غرور الرافضة وما الذي اوقع اوليهم واضر اخرهم وانه
لا يغتر بمن اوتي منهم علما ولسانا والمسايل ثلاث الاولى من
افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام وهذه يطلب فيها الفضيلة
واحدة في الادميين خاصة ه والثانية من اعلى الخلق درجة
يوم القيامة ثم من يليه وهلم جرا وهذه لا تختص بواحد لا بالادميين
بل تعم جميع المخلوقات ويتعرض فيها الى ترتيب الطبقات ه
والثالثة هل العلما افضل ام الشهدا فيقول الجواب وبالله التوفيق

وهو انما يسول في الهداية الي سواء الطريق **اما المسلة الاولي** فافضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام على سبيل الخصوص ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا باجماع من لا يتهم في دين الله تعالي من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين من اهل السنة رضي الله عنهم اجمعين وخالف في هذا جميع الشيعة وكثير من المعتزلة والخطابية من غير الرافضة والراوندية فالطايفتان الاوليان رجحتا علياً كرم الله وجهه والثالثة رجحت عمر رضي الله عنه والرابعة رجحت العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على تفضيل ابي بكر رضي الله عنه من الكتاب ان الله تعالي وصفه بالاتقي في قوله تعالي وسيجنبها الاتقي فانه المراد بالايات المذكورة باجماع اهل التاويل نقل الاجماع على ذلك ابن عطية المفسر والاتقي هو الاكرم لقوله تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم ومن السنة ما رواه البخاري في صحيحه باسناده عن محمد بن الحنفية انه سال اباه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

من خير الناس فقال ابو بكر وسياتي وكذلك قال عمر رضي الله عنه وسياتي واما على سبيل العموم فافضل الامم امة نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا باجماع الامة وبقوله تعالي كنتم خير امة اخرجت للناس **واما المسلة الثانية** فاما علو الدرجة فنحن اخذوها من رجحان يظهر من خبر الصادق اذا ورد في حق مذكور لم يرد في حق غيره مثله فنقول اعلى الانبياء درجة محمد صلى الله عليه وسلم وبعده عيسى وموسى وابرهيم ونوح وادم راجحون على من سواهم من الانبياء مطلقا ولم يتحرر رجحان احد منهم على الاخر وقد قيل في كل واحد منهم انه ارجح من البقية الا نوحاً فلم نر احداً رجحه على البقية والرسل ارجح من بقية الانبياء والرسول من آل ابرهيم يرجح على الرسول من غير آل ابرهيم ويرجح بعض الرجحان الانبيا على الملايكة ولا يبعد ذلك في صالحي المومنين ويرجح صالحوا مومني آل ابرهيم على من سواهم من الادميين وغيرهم من الملايكة والجن ويرجح الصحابي على من ليس بصحابي كائنا من كان من الامة ويرجح جبريل

بإجماع الامة

على ميكائيل وهما على بقية الملائكة ويرجح ابو بكر وعمر في كونهما
منصوص على كونهما من اهل الدرجات العلى ولم يرد في حق غيرهما
وان كان الرجحان بحسب الفضل رجح ابو بكر على عمر وعمر على عثمان
وعثمان على علي وبقية العشرة على باقي الصحابة من غير تقديم احد
الستة الباقية على ما في الستة ويظهر لابي عبيدة وطلحة والزبير
رجحان وترجح الصحابيات على غيرهن من نساء الامة وترجح مريم على
كل امراة ثم من بعدها فاطمة ثم من بعدها خديجة ثم من بعدها اسية
ثم عايشة ثم ساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على كل النساء
ثم ترجح المراة من آل ابرهيم على غيرها وعلى الرجال من غير آل ابرهيم
ويرجح اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل بيعة الرضوان ومن له مزية اهل
العقبتين وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى
القبلتين في قول بعضهم واما على سبيل العموم فالانبيا
افضل من الملائكة عند اكثر اهل السنة وتفضيل الملائكة
والادميين على الجن مجمع عليه وبين الملائكة والادميين
خلاف بسبب تحقيق الاصح فيه واما تفضيل المكلفين من

المخلوقات على من لم يكلف كالسموات والارض وبقية
الحيوانات فهذا مجمع عليه وسياتي ان شا الله تعالى

واما المسئلة الثالثة فان اريد بالافضل علو الدرجة فلا نجد
احدا ورد ان الله اعد له من الثواب ما اعد للشهدا الا العلما
ولا غيرهم وان اريد بالافضل غير ذلك فلا بد من تحرير السوال
اولا ليصح الجواب وذلك ان الشهيد ثوابه الحاصل له انما
هو على تعرضه للقتل في سبيل الله تعالى فان ذلك هو
فعله وعلى سماحته بنفسه التي هي انفس اعلاقه فاما اراقة
دمه فانه فعل القاتل العاصي فكيف يثاب على فعل العاصي
حتى لو ان مجاهدين تعرضا للشهادة وجادا بانفسهما احدهما
غلب خصمه فقتله والاخر غلب واستشهد فان الغالب
القاتل افضل من المقتول الشهيد فان الغالب فعل فعل
الشهيد وزاد بفعل القتل ودفع معصية العاصي بخلاف
الشهيد اذا عرفت ذلك علمت ان فضل العالم على الشهيد
او العكس انما يكون تفاضلا بين فعل العالم وبين فعل المجاهد

المعرض نفسه للشهادة وعند هذا نقول الجواب
انه لا يطلق ان فعل العالم افضل من فعل المجاهد ولا فعل المجاهد
افضل من فعل العالم بل التفضيل في ذلك متعين وهو ان ذلك
يختلف بحسب اختلاف الاشخاص والازمان والاحوال اما الاشخاص
فان الذكي الفطن الضعيف البطش والكيد اذا نظر الى ذاته من
حيث ذاته ففعل العالم في حقه افضل من فعل المجاهد والشديد
البطش والكيد البليد فعل المجاهد في حقه افضل من فعل
العالم واما باختلاف الاحوال فقد يكون فعل الجهاد
فرض عين وتعلم العلم فرض كفاية فيرجح الجهاد وقد يكون بالعكس
فيرجح العلم وقد يكون الجهاد فرض عين وتعلم العلم فرض عين
فان كانت فرضية العين مما يتوقف عليه الاسلام من معرفة
الله تعالى وصفاته ورسوله وصفاته وما يتوقف عليه
الشهادتان فهذا افضل من الجهاد وقد يكون بمعرفة فرض
الصلوة وخيف من استباحة بيضة الاسلام فالجهاد ههنا
اقوى ۝ واما في الازمان فحيث يكون البدع وما تدعو الحاجة

الى الاستفتاء فتعلم العلم افضل وقد تكون الفتن والحروب ۝
وتخف الحاجة الى العلم فالجهاد افضل فاذا استوت الحال
من كل الوجوه فالعلم افضل من الجهاد والاصل فيه ما ذكره
ابو زكريا النووي رحمه الله قال عن عثمان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة الانبيا
ثم العلماء ثم الشهدا قال وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فقيه اشد على الشيطان من الف
عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عبد الله
بشيء افضل من فقه في الدين قال الترمذي حديث
حسن فهذا تلخيص الجواب واما ايضاحه وتفصيله فنقول
المسئلة الاولى ۝ المدعى فيها اولا ان ابا بكر رضي الله عنه
افضل من كل واحد واحد من امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقبل الخوض في الحجاج فلا بد من تقديم مقدمات المقدمة الاولى
الاولى هل نتكلم في تفضيل الصحابة رضي الله عنهم بعضهم على بعض
ام لا فنقول حكي الماتريدي ان فرقة ذهبت الى الامساك عن ذلك

وانه لا يفضل بعضهم على بعض وقالت هم في الفضل كالاصابع
في الكف وهذا القول خلاف صنيع الصحابة رضي الله عنهم
كما سياتي ثم كونهم كالاصابع لا يحسن التشبيه به في التفضيل
بل قد تتفاضل ونرى ان بعضها انفع من بعض ولذلك اذا كان
المعتق في الكفارة مقطوع الانملة من الابهام لا يراه مجزيا
من يرى مقطوع غيرها مجزيا واما او روى السكوت في هذا
الزمان اولى من السكوت في مدة حياتهم لم يبعد لمعرفة الافضل
ليولى اما وجوبا او ندبا واما في هذا الزمان فلا نعم اذا ظهرت
بدعة فلا بد من ازالتها **المقدمة الثانية** ما المراد بالافضلية التي
تطلق في حق الفاضل والمفضول هل ذلك في الظاهر اي فيما
يبدو للناس فقط وقد يكون عند الله خلافه او في الباطن حتى
يكون الفاضل عندنا اعلى درجة عند الله تعالى فيه قولان للعلما
قال القاضي عياض في شرحه مسلما الفضيلة عند العلما
لا تدرك بقياس بل مدارها التوقيف فقولنا فلان افضل اي
اكثر ثوابا عند الله تعالى وارفع منزلة وانما يعلم هذا بالتوقيف

ولا يستدل عليه بكثرة الطاعات الظاهرة ؞ فقد
يثيب الله تعالى على اليسير الخفي اكثر من الكثير الظاهر
وعلى صحة الايمان وكثرة الفكر والذكر والخشية
على ان في الظاهرة مجال لغلبات الظنون وا قول الافضلية
في الباطن لمعرفتها طرق كما ستجدها ان شا الله تعالى
فنقول تعرف الفضيلة بالمعارف والاحوال وما يتبعها
من الاقوال والافعال وذلك هو الموروث عن الانبيا
عليهم السلام ؞ فورث عنهم العارفون بعض المعارف
والاحوال وورث عنهم العابدون التقرب بالاعمال
والاقوال ؞ وورث عنهم الفقها التقرب بمعرفة احكام
اعمال الجوارح ؞ وورث عنهم اهل الطريق معرفة احكام
الباطن ففي هذه الوراثة تتفاوت الافضلية ويدرك
التفاوت بالحواس ؞ وقد يعرف التفاوت والافضلية
باخبار الصادق **على المقدمة الثالثة** هل فضل ابي بكر رضي
الله عنه على من سواه مقطوع ... الظنون فيه خلاف

بين العلماء وميل الامام مالك رضي الله عنه الى
انه مقطوع به ۝ واليه ميل الشيخ ابي الحسن
الاشعري شيخ المتكلمين من اهل السنة ۝
ومال القاضي ابو بكر الى الظن واخبرني الثقة عندي
عن الشيخ ابي زكريا النووي رحمه الله انه قال
في درسه في التواتر المعنوي هو كشجاعة علي ووجود
حاتم وفضل ابي بكر على سائر الصحابة ۝ ومن
تتبع الاخبار والاثار وجد الامر كما قاله هو
ومالك رضي الله عنهما ۝ فان قيل فالتواتر
ضروري فلا يختلف العلماء فيه ۝ وانت تعلم ان
جماعة من المعتزلة وهم من اساطين الكلام ۝
وفرسان النظر قالوا بتفضيل علي رضي الله عنه وكفى
منهم ابو الحسين البصري ومكانته في الاصول لا
تجحد وكذلك جماعة الشيعة وكفى منهم الشريف
المرتضى فكيف يخفى عنهم متواتر ۝ قلنا المتواتر

منه ما تشتد الحاجة اليه وتتوفر الدواعي على نقله
فهذا يبعد خفاؤه عن قوم دون قوم ۝ ومنه ما ليس
كذلك فهذا لا يحصل الا لمن صرف ذهنه الى
التتبع والفحص كما يعلم ضرورة رفع الفاعل من
تتبع كلام العرب دون من لم يتتبع فلم يستو
الناس في معرفته كما استووا في معرفة جود
حاتم ووجود بغداد والهند ۝ ثم الذي دعا
هولاء الى ترجيح علي رضي الله عنه انا ذاكره
في هذا المقام ۝ فاقول هما طايفتان احداهما من قال به
من المعتزلة فهذه الطايفة تقول بعظمة
ابي بكر رضي الله عنه وصحة خلافته ۝
وجوزت هذه امامته مفضولا مع وجود علي
رضي الله عنه فاضلا ۝ ودعاهم الى هذا
ما وجدوا في كتب اهل الاخبار من المورخين الذين
لا يوجد بينهم احد على مذهب صحيح في حق

الصحابة رضي الله عنهم الا ما شاركك وما وجدوا
من الآثار التي ترويها الرافضة مثل وقوف الشمس لعلي
رضي الله عنه وقتاله الجن الى غير ذلك من ضروب
مختلفة ٥ وما استنقصت الرافضة به الصديق مما
وضع لهم مما هو كذب وافترا وما هو رضي الله عنه
منه برا ثم كان من مذهب المعتزلة قبول خبر المرسل
وعندهم ان الثواب من الله تعالى على قدر العمل
وان الفضل لا يؤتيه الله لمن يشا لكن لمن استحق
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وذلك مفرع
على قاعدتهم في الحسن والقبح فرجحت هذه الطايفة
عليا رضي الله عنه بما فيه من الفضايل الصحيحة وبما
ذكرنا وصح عندها فضل ابي بكر رضي الله عنه
بالطرق الصحيحة فعظمته وصححت امامته وتسلفت
بما وضع من الاخبار الكاذبة على مرجوحيته
وعدم عدالة كل من قاتل عليا كرم الله وجهه

الطايفة الثانية ٥

الشيعة والرافضة اما الرافضة
فلا أصل لها فيما اعتمدته لكن اختلجتها نوازع من الشيطان
على السنة المارقين والملحدين ارتكبت اوايلهم وارتبكت
فيها أواخرهم الذين أخذوا عن أوايلهم ما لم يعلموا كيف
أخذه أوايلهم وها انا ذاكره ان شا الله تعالى فأقول
لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والاخرين
رسولا الى الناس كافة عظم ذلك على اليهود والنصارى
والمجوس وعباد الأصنام لا سيما الفرس والروم وهما
أعظم الطوايف ملكا واوسعها خطة خصوصا الفرس
فانها ضمت الى ذلك تيها وجبروتا وطول مدة واذلال
مجاذب وحسن سياسة والعرب التي كانت اغلظ اكبادا
واقوى فخارا فناصبوه العداوة حتى اقاربه بل اقربهم
كابي لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صنو ابيه
ناصبه فانه صلى الله عليه وسلم سفه احلامهم وكفر اسلافهم
وعاب اديانهم واصنامهم وفرق جماعتهم فاجمعوا على

قتله فعصمه الله تعالى وقال له والله يعصمك من الناس وأسلم
منهم من هداه الله ودخلت العرب في دين الله أفواجا فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم نجم النفاق بالمدينة وارتدت
العرب وبقي الدين بمكة والمدينة وثقيف وجواثا بالبحرين وظنت
بالصحابة ضعفا وجزموا بزوال الإسلام فقام أبو بكر
رضي الله عنه قيام الصديقية مجاهدا في سبيل الله تعالى وقتل
الله على يديه مسيلمة الكذاب باليمامة وأسر طليحة الأسدي
وكل منهما قد عظمت شوكته وهزم الجيوش وادعى النبوة
فأماط رضي الله عنه فساد الردة وأذهب نسها ووطأ
جزيرة العرب وفتح كثيرا من الشام والعراق واستولى
على الجزيرة وعبرت جيوشه النهر والقادسية وأذلت
فارس والروم وهما يومئذ أقوى الأمم ملكا وجيوشا وعددا
وعددا فظن حاسدوا الإسلام أنه بموت خليفته يزول
فولي عمر رضي الله عنه فازداد الإسلام عزا إلى عزه واستأصل
فارس وأخرجها عن [illegible] كورها وممالكها وأخرج الروم

من الشام ومصر وبعض المغرب ولجأ من سلم منهم إلى الحصون
وهرب كسرى إلى ملك الترك واستنصر على عمر فقال والله
لقد خفته على موضع قدمي فدس عليه المشركون أبا لؤلؤة عبد
المغيرة بن شعبة فقتله وظنوا أن زواله بزوال الإسلام فولي
عثمان رضي الله عنه فضبط ما فتحه الشيخان واتسع الإسلام
في أيامه أشد اتساع ففتح خراسان كلها وأرمينية وأذربيجان
وكمل فتوح المغرب ولم يبق للإسلام عدو يرفع رأسه فعلم
أعداء الدين لا سيما أبناء الفرس فإنهم كانوا أشد حسدا من جميع
الطوائف لما سلبوه من الملك ولما في نفوسهم أنهم مخصوصون
بالآدمية فضلا عن الملك وبغضا في العرب وحسدا أن
تكون النبوة فيهم لا سيما مع الملك لا سيما مع ملك سلب منهم
واتسعت خطة الإسلام وتفشت هذه الطائفة الخاسئة وهم
الموالي في جميع الطوائف فصاروا يضربون ويوسعون الحيلة
في الفتن وفي تحسين القبيح وتقبيح الحسن فأوضعوا خلال
الفتنة حتى أخذت مأخذها وقتل عثمان رضي الله عنه فانصدع

الإسلام شقين واشتغل المسلمون بسيفين وضرب بعضهم بعضا
فظنوا زواله بالفتنة فضبط علي رضي الله عنه ما معه بالعلم
والدين وضبط معاوية رضي الله عنه ما معه بالحلم والعقل
وعرف كل من الطائفتين مصدره ومورده والإسلام محفوظ
كما وعده سبحانه في قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون وخرج الأمر عن علي وأهل بيته وولي الأمر من
دون أولئك فظنوا زواله في أيام بني مروان فضبطت البلاد
واتسع ملك الإسلام في أيامهم فرأت الحاسدة أن الإسلام
لا بالفتنة يزول ولا بولاية من لا يصلح يحول فقالوا هذا دين قد
قهر الأديان فلا يزول إلا بالحيلة بأن نمحي رسمه ويبقى اسمه
والطريق في ذلك أنا نجد لأهل البيت شيعة وطوائف تحقد
تأخرهم وهم أهل النبوة ومهبط الوحي وولاية من لا سابقة
لسابقيه في الإسلام ثم مع ولايتهم سفكوا دما الأخيار
الأبرار فلنكثر الإلحاد ولنظهر الحزن والبكا على أهل
البيت وأن كل من ولي الخلافة غصب أهل البيت وأول

ذلك الشيخان ومن بعدهما والصحابة الذين أجمعوا على
إمامة أبي بكر رضي الله عنه فإذا طعنا على الصحابة الذين
ينقلون الدين عن محمد صلى الله عليه وسلم فقد شفينا نفوسنا
من محمد صلى الله عليه وسلم ونقضنا دينه عروة عروة
ننزله في الباطن وندعي إنما نصنعه من الدين هو دينه
فوضعوا الأحاديث والترهات وتقربوا به إلى شيعة
أهل البيت فدرسوه ونسبوه إلى أهل البيت ليقبله
من يعلم عظمهم ومكانتهم في دين الله تعالى وخافوا من
الشيعة أنها إذا سمعت من أهل البيت الثنا على الصحابة
وتقديم الأفضل أن تنكص على أعقابها فأوقعوا في صدورهم
أن من الدين التقية وأن بعض سلالة علي رضي الله عنه قال
التقية ديني ودين آبائي وحملوهم على اعتقاد أن ثنا أهل
البيت عن آخره إنما هو من باب التقية فبلغت الملاحدة
غرضهم في ضلالة الرافضة ولقد سيأتي أن الباقر
رضي الله عنه قيل له وقد أثنى على أبي بكر رضي الله عنه

إنما نقول ذلك تقية فذم خليفة زمانه وقال إني أخاف
الأموات ولا أخاف الأحياء وأكثرت الملاحدة من وضع
الكذب والبهتان على الصدر الأول من الصحابة والشيعة
منها من تعلق بحفظ القرآن وأخذ بآداب العلم فمنهم
من لم يتب ولم يتعرض بسوء ومنهم من تعرض بالسوء مع
حفظه مراسم من الإسلام كالصلاة والحج والصيام
ومنهم من لم يتعلق بشيء من آداب العلم فأخذته المارقة
إليها وادعت أن لكل شيء باطنا وظاهرا فنزعوه من
ربقة الإسلام ومحوا التكاليف كالإسماعيلية
والطورية والقرامطة والدرزية والحاكمية ومنهم
من ترك البكاء والتشيع وتجهر بالإلحاد كبابك الخرمي ومنهم
وناصب الرافضة بالإبعاد والمجاهدة زيد بن علي رضي الله عنه
وناصبتهم الأمة القتال والقتل في دهور فقتلوا منهم
أبا الخطاب الأسدي وغيره واستوسق أمر الشيعة
في أيام بني العباس إذ كان جيشهم الذي أباد ملك بني أمية

أكثره من أبناء فارس فصار منهم الوزراء وذوو الثروة
فتقرب إليهم المؤرخون بحفظ ذلك وتهذيبه وتدوينه
وجاءت من الأعصار وذلك أمر بيت بليل وجرى عليه
سيل بعد سيل فالرافضة المتأخرة وإن عذرت في
كونها لم تبتدع لكنها لا تعذر في كونها لم تتبع ولو
دخلت بين المسلمين وقرأت ما ضبط عن المؤمنين لشفى الله
منابها وشرح صدرها للإيمان ومن تتبع العلم وعاند دينه لم
يلبث في الرفض ويكفيه من ذلك ما روى الشيخان بإسنادهما
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل
أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وما رواه الترمذي
عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن

آذى الله فيوشك أن يأخذه وروي أيضاً عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين
يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم وما أحسن
ما رواه مسلم عن عروة رضي الله عنه قال قالت لي عائشة
رضي الله عنها يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فسبوهم وروي عن جابر رضي الله عنه
قال قيل لعائشة رضي الله عنها إن ناساً يتناولون أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما
تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله تعالى أن لا ينقطع
عنهم الأجر ولما ملك الشهيد نور الدين حلباً وجد أهلها
رافضة فاستشار ابن أبي عصرون رحمه الله في ذلك فقال
ابن لهم المدارس فبنيت فدخلوا وقرؤوا العلم فعرفوا
الحق وانحرفوا عن الضلالة فكل من يوجد من أهلها الأولين
سنياً فهو بدخولهم المدارس ومن لم يدخلها منهم دام على بدعته
ورفضه وإذا علم ذلك عرف أن دعوى التواتر فيه تجدها

المتتبع صادقة ومن لم يتتبع لم يجدها ولو كان عاقلاً
ديناً خبيراً بأمور دنياه ذا زهد ظاهر فإن عدم التتبع
مانع من معرفة الأمور وهذا أوان الشروع في البراهين
فنقول الدليل على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه
الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى وسيجنبها
الأتقى إلى آخر السورة ووجه الدليل من ذلك أن هذه
الآية نزلت إخباراً عن أبي بكر رضي الله عنه بإجماع
أهل التأويل وإجماعهم في ذلك حجة ونخص المخالف
القائل بترجيح علي رضي الله عنه بأنه لا يجوز أن يكون
المراد بالأتقى علياً رضي الله عنه فإن الله تعالى وصف
الأتقى بأنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى وعلي رضي الله عنه
ما كان كذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم رباه وأطعمه
وكساه وتلك النعمة توجب المجازاة فأما أبو بكر رضي الله عنه
فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه نعمة
الإسلام والهداية إلى الدين وتلك النعمة لا يقدر الآدمي

على مجازاتها وإنما يجازي بها الله تعالى وقد قال النبي عليه السلام
إن أجري إلا على رب العالمين فلذلك لم يقتصر في الآية الكريمة
على انتفاء النعمة بل قيدت بالنعمة المجزية بل قد روى الترمذي
بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر
فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال
أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم خليل الله قال
الترمذي حديث حسن فقد ثبت بهذه الآية أن أبا بكر رضي
الله عنه هو الأتقى وإذا ثبت أنه الأتقى فهو الأكرم عند
الله تعالى لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم
فثبت أنه أكرم الصحابة رضي الله عنهم عند الله تعالى
وأما السنة فلسنا نذكر إلا ما يدل على أنه الأفضل إلا ما
يدل على فضيلته فقط فإن ذلك مما يطول به الكلام وإذا
ثبت أفضليته ثبتت فضيلته بطريق الأولى وترتيب السنة

من وجوه أحدها ما ظهر من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم له
وجعل ما شاركه فيه غيره يذكر في فضل عمر رضي الله عنه
والثاني ما عامله به صلى الله عليه وسلم ۞ والثالث ما ورد
من محبته له ورجحانه فيها أما بأخباره صلى الله عليه وسلم
أو بأخبار الصحابة ۞ والرابع ما شهدت به الصحابة
رضي الله عنهم له من الأفضلية ۞ والخامس ما ظهر من أفعاله
رضي الله عنه الدالة على أفضليته وتتمة ذلك ثناء أهل البيت
عليه ليعلم أن أهل البيت برآء من الشيعة في مذهبهم
فيه رضي الله عنه **الوجه الأول** ۞ فمن ذلك ما روى أبو
داود بإسناده رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأخذ
بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال
أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر
إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنك يا أبا بكر أول
من يدخل الجنة من أمتي رواته كلهم ثقات وفيهم أبو خالد

الدالاني يزيد بن عبد الرحمن وثقه أبو حاتم وقال ابن معين
ليس به بأس وكذلك قال الإمام أحمد ومن ذلك
ما رواه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال عبد خيره الله
بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده
فبكى أبو بكر رضي الله عنه وبكى فقال فديناك بآبائنا
وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المخير هو
وكان أبو بكر أعلمنا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أمن الناس علي بصحبته وماله أبو بكر ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة
الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة
أبي بكر فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه أمن الناس
عليه في المال والصحابة وأنه المناهل للخلة لو أمكنت
فإن قيل فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول
حدثني خليلي وأوصاني خليلي وارتجز أبو دجانة يوم

أحد: إني امرؤ عاهدني خليلي   ونحن بالسفح لدى النخيل
قلنا قد أنكر بعض الصحابة على أبي هريرة رضي الله عنه
قوله ذلك وقال له متى كان رسول الله خليلك
ثم إن حديث مسلم يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يتخذ من الآدميين خليلا ولم يمنع الحديث أن الآدميين
تتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خليلا ورسول
الله لا يقول فلان خليلي لا أن غيره لا يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم خليلي والخليل هو الحبيب
وفي رواية الترمذي ما أحد من الناس أمن إلينا في
صحبته وذات يده وفي رواية البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن
أخي وصاحبي وفي رواية ولكن أخوة الإسلام أفضل
وفي رواية أخرى عنه قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه

بخوخة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
انه ليس من الناس أحدا أمن علي في نفسه وماله أمن علي من
ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عني
كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر
وفي فضيلة هذه الاخوة والخلة كلام ليس هذا موضع
استيفاء شرحه وقد رواه مسلم عن ابن مسعود
وجندب بن عبد الله فقد استفاض هذا الخبر وخرج
عن درجة خبر الواحد وارتفع إلى الشهرة ومن
ذلك ما روى الترمذي باسناده عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي
في الغار قال حديث حسن ومن ذلك الحديث
السابق ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه
ومن ذلك ما روى البخاري باسناده عن ابي

الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالسا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذ اقبل أبو بكر آخذا
بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اما صاحبكم فقد غامر فسلم فقال
انه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فاسرعت اليه ثم
ندمت فسألته ان يغفر لي فأبى علي فاقبلت اليك
فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى
منزل أبي بكر فقال اثم أبو بكر فقالوا لا فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم
يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال
يا رسول الله والله انا كنت اظلم مرتين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم
كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه
وماله فهل انتم تاركون لي صاحبي مرتين فما أوذي
بعدها وردهما على الخطابة أقوى الوجه الثاني

ما عامله به صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما سيأتي
من انه صلى الله عليه وسلم كان قبل الهجرة يأتي بيت
أبي بكر كل يوم احد طرفي النهار ومن ذلك
ما سبق من امره عليه الصلاة والسلام بسد كل خوخة في
المسجد الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه وروى
سيف بن عمر باسناده عن أبي سعيد وزاد فيه
عنه فعلمنا انه مستخلفه ومن ذلك تقديمه عليه
السلام اياه في الصلوة وجعله اماما للمسلمين مدة
مرضه عليه السلام ولأنه لم يعزله الله عنها ولا هجم
أحد من المسلمين على رفعها وهو حديث مشهور
مستفيض يرتفع عن خبر الواحد وفيه أحسن
اشارة وتنبيه مشتمل على مرامز تقارب التصريح
بتقدمه في الخلافة على من سواه حتى ان البكرية وهم
أصحاب بكر ابن أخت عبد الواحد قالوا بان رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على خلافة أبي

بكر رضي الله عنه بهذه التقدمة وبغيرها وقالت
الشيعة لم يرو خبر تقديمه في الصلوة الا عايشة
رضي الله عنها وكذبوا في ذلك بل قد رواه علي
ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وعبد الله
ابن عباس وسالم بن عبيد وابو موسى وعبد الله بن زمعة
رضي الله عنهم أجمعين وكيف تتهم على دين الله تعالى
وقد نطق القرآن بفضلها وأخبر جبريل عليه السلام
بانها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا
والآخرة وأقرأها السلام وأخبر صلى الله عليه وسلم
أنها أحب الناس اليه واذا كانت العلماء رضي الله عنهم
قايلين بان العبد العدل اذا روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبرا يوجب عنفه قبل ووجب العمل به ولا
يلتفت الى اتهامه في ذلك فكيف بعايشة رضي الله
عنها اذا روت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مروا ابا بكر فليصل بالناس وعند ذلك نقول هذا

الحديث رواه مالك في الموطا وصاحبا الصحيحين في
صحيحهما وابو داود والترمذي والنسائي **فمن ذلك**
عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس قالت عايشة
فقلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام مقامك
لم يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس ٥
فقالت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت حفصة لعايشة رضي الله عنهما ما كنت
لاصيب منك خيرا ٥ واعلم ان في قوله صلى الله عليه وسلم
انكن لانتن صواحب يوسف ما يهيج الذكي الفطن
الى معرفة مكانة هذا القول من الدين بالنسبة
الى تعظيم الامر في تقديم غير ابي بكر رضي الله عنه
في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين
عن ابي موسى رضي الله عنه نحو ذلك وفيه ان عايشة

رضي الله عنها قالت يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق
وفي اخره فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى البخاري قريبا منه عن ابن عمر
رضي الله عنهما ٥ وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه
قال لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا وابو بكر
يصلي بالناس فاقيمت الصلوة فذهب ابو بكر يتقدم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه
فلما وضح وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما نظرنا
منظرا كان اعجب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين وضح لنا فاوما بيده الى ابي بكر ان يتقدم وارخى
الحجاب فلم نقدر عليه حتى مات ٥ وفي رواية انه
نظر اليهم وهم في صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك
وروى ابو داود باسناده عن عبد الله بن زمعة رضي
الله عنه قال لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا عنده في نفر من الناس دعاه بلال الى الصلوة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر
يصلي بالناس قال فخرجت فإذا عمر في الناس وكان
أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فتقدم وكبر
وكان عمر رجلا مجهرا فلما سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم صوته قال أين أبو بكر يأبى الله ذلك
والمسلمون يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث إلى أبي بكر
فجاء بعد أن صلى عمر الصلوة فصلى بالناس ٥ رواه أبو داود
وسكت عنه وعند المحدثين أن ما سكت عنه أبو
داود فهو حسن عنده فإن قلت في سنده محمد بن إسحق
صاحب المغازي وفيه الخلاف المشهور قلنا
لا ينافي ذلك حسنه عند أبي داود فلعله حسن عنده
بوجه آخر على أن هذا نوع من القصص ولا يتعلق به الآن
حكم شرعي ٥ وروى أبو داود هذا الحديث من طريق
آخر عن عبد الله بن زمعة وقال لما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج صلى الله عليه وسلم حتى أطلع

رأسه من حجرته ثم قال لا لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة يقول
ذلك مغضبا وسكت عليه فهو حسن عنده وفي إسناده
موسى بن يعقوب الزمعي وثقه يحيى بن معين وضعفه ابن المديني
وفيه عبد الرحمن بن إسحق بن الحرث المعروف بعباد بن الحرث
قبله كثير من الناس وروى له مسلم واستشهد به البخاري وروى
الترمذي بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينبغي لقوم فيهم
ابن أبي قحافة أن يؤمهم غيره في إسناده عيسى بن ميمون
جاء ولقد في هذه الأحاديث من الإشارة ما يقارب التصريح مع ما
انضم إليه من حديث ادع لي أباك وأخاك الحديث مع ما رواه
الشافعي رضي الله عنه عن إبرهيم بن سعد بن إبرهيم عن محمد بن جبير
بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسأله عن شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا رسول الله
أرأيت إن أتيت فلم أجدك كأنها تعني الموت قال فأتي أبا بكر
قال الشافعي رضي الله عنه في هذا الحديث دليل على خلافة

أبي بكر رضي الله عنه ٥ وروى النسائي عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار
منا أمير ومنكم أمير فقال عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدمه للصلوة فأيكم تطيب نفسه أن
يتقدم أبا بكر فقالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ٥
فإن قلت فقد صح عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يستخلف وأجمع أهل السنة أن خلافة أبي بكر بالإجماع
على البيعة قلنا ذلك لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم أشار
إلى تقديمه في الخلافة وأن لم يستخلف لكن لما نبه أجمعت
الأمة على البيعة بعد مراجعات ومناظرات بينت المصلحة
والرأي ووجه الحق في إمامته رضي الله عنه **ومن ذلك**
أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدمه في الذكر على كل صحابي
غيره كحديث اثبت حرا فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
وكحديث الوزن وسيأتي في ذكر عمر رضي الله عنه وكحديث
نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة

الحديث إلى أشياء كثيرة إذا ذكره مع غيره من
الصحابة بدأ بذكره ٥ والاستعمال العربي تقديم الأهم
دايما في الذكر وذلك يدل على فضله على من يذكر معه
الوجه الثالث ما ورد من محبته عليه السلام أبا بكر
رضي الله عنه ورجحانه فيها على غيره **فمن ذلك** ما روى
البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسنادهما عن عمرو بن العاص
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على
جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب
إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم
من قال عمر فعد رجالا وزاد في رواية فسكت مخافة أن
يجعلني آخرهم ٥ وفي رواية قال لست أسألك عن أهلك
إنما أسألك عن أصحابك فقال أبو بكر قلت ثم من قال
عمر ٥ وفي رواية الترمذي عنه من أحب الناس إليك
قال عائشة قال من الرجال قال أبوها قال الترمذي حديث
حسن ٥ **ومن ذلك** ما روى الترمذي أيضا بإسناده عن

عبد الله بن شقيق قال قلت لعايشة رضي الله عنها اي اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احب اليه قالت ابو بكر
قلت ثم من قالت عمر قلت ثم من قالت ابو عبيدة بن الجراح
قلت ثم من قال فسكتت قال حديث حسن صحيح وهذا
اجر ما اشرنا اليه اولا ان من العشرة يظهر رجحان لابي
عبيدة على الوجه الذي ذكرناه ثمة **ومن ذلك**
ما روي الترمذي باسناده عن انس رضي الله عنه قال
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احب الناس اليك
قال عايشة قال من الرجال قال ابوها قال حديث حسن
الوجه الرابع ما شهدت به الصحابة رضي الله عنهم من
ترجيح ابي بكر رضي الله عنه **فمن ذلك** وهو من احسنها
ما رواه البخاري باسناده عن محمد بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت
ان اقول ثم من فيقول عثمان فقلت ثم انت قال ما انا الا رجل

من المسلمين ۞ فهذه شهادة من علي رضي الله عنه لابي بكر
رضي الله عنه بفضله على من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الادميين الموجودين بعده ثم بفضل عمر كذلك بعد
ابي بكر رضي الله عنهما ثم الراوي عن علي رضي الله عنه محمد بن
الحنفية ولده من لا يتوجه الطعن فيه من المخالفين وهو
كان اعلم الناس بحديث والده رضي الله عنهما ۞ وعنه
رضي الله عنه الحسن والحسين خير مني وانا اعلم بحديث
ابي منهما وقال ابرهيم بن عبد الله بن الجنيد لا يعلم احد
اسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ولا اصح مما
اسند محمد بن الحنفية **ومن ذلك** ما رواه الترمذي
باسناده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ابو بكر
سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال حديث صحيح ۞ وكما ان الخبر الاول راد على
الشيعة والمعتزلة فكذلك هذا الخبر راد على الخطابية
ومن ذلك ما روى البخاري باسناده عن عبد الله

ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ونسكت عن
الباقين ۞ وفي رواية لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان
ثم نترك أصحاب رسول الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم
وروى أبو داود بإسناده عنه كنا نقول ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر
ثم عثمان وقول الراوي كنا نقول ونفعل يدل على أنه قول
جميعهم وفعل جميعهم حتى يكون بعد وفاته إجماعا عند
الأكثر أما في حياته صلى الله عليه وسلم فلا يكون إجماعا
لأنه إجماع إلا بعده عليه السلام لكن مثل هذا يكون
مرفوعا فإنه يبعد أن يخفى هذا التفضيل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا وما قبله من الحديثين يدفع قول
من يقول هم كالأصابع لا نفضل بينهم ۞ ومن ذلك
ما روي أن أبا بكر رضي الله عنه ذكر عند عمر رضي الله عنه
فبكى عمر وقال وددت أن عملي كله مثل عمله يوما واحدا من

أيامه وليلة واحدة من لياليه أما الليلة فليلة سار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار فلما انتهيا إليه
قال والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان فيه
شيء أصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا
فشق إزاره وسدها وبقي منها اثنان فألقمها رجليه
ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ
أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا
أبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض
عليه وكان سبب موته ۞ وأما يومه فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالت لا نؤدي
الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه

فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم
فقال اجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام انه قد انقطع
الوحي وتم الدين اينقص وانا حي **الوجه الخامس** ما ظهر
من افعاله الدالة على افضليته اما من حيث الاجمال فقد
تقدم انه قد اخبر الصادق المصدوق انه امن الناس
عليه في صحبته وماله فهو افضل من كل الصحابة
في الصحبة التي هي سبب فضل الصحابة على كل من سواهم
واخبر صلى الله عليه وسلم انه امن الناس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفسه ومن لا يشك عاقل
انها انفس ما عند العاقل ۝ واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم انه امن الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ماله وذات يده والمال رفع به شرف الصحابة
رضي الله عنهم على من بعدهم حتى من سبق منهم على
من لم يسبق وتاخر انفاقه وان كان صحابيا كما
تقدم من حديث الشيخين باسنادهما عن ابي سعيد

الخدري وفي رواية لهما عنه قال كان بين خالد بن
الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فان احدكم لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه ۝ **واما من حيث التفصيل** ۝ فنقول اما
اسلامه وسبقه فيه فقد ذهب جماعة الى انه
اول من اسلم ۝ وفي حديث ابي الدرداء السابق من
حديث البخاري ما يدل عليه وروى الجريري عن
عن ابي نضرة قال قال ابو بكر لعلي رضي الله عنهما
اسلمت قبلك فلم ينكر علي رضي الله عنه ذلك ۝ ويدل
عليه ايضا ما رواه البخاري باسناده عن عمار
رضي الله عنه قال لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما معه الا خمسة اعبد وامراتان وابو بكر ۝ وروي
من وجه عن عمرو بن عبسة في اتيانه اليه عليه السلام
بعكاظ وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

من معك على هذا فقال حر وعبد أبو بكر وبلال ه
الحديث وأما كيفية اسلامه فيكفي فيه حديث الترمذي
السابق عن أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم ما لأحد
عندنا يد إلا وكافيناه ما خلا أبا بكر زاد رزين
وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبو بكر
فإنه لم يتلعثم في قوله ثم كان يقينه في إيمانه الدائم كما أخبر
صلى الله عليه وسلم في كلام البقرة والذئب فقال صلى الله عليه وسلم
آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم علما منه بما هما
عليه من الإيمان القوي وسمي صديقا بتصديقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كل ما يقوله وقيل لتصديقه بالإسراء
ثم كان وجيها في قريش وإليه كانت الأشناق في الجاهلية
وهي حمالة الدماء فكان إذا حمل دما وزعوه وحملوا معه
وإذا حمل غيره خذلوه علما منهم بمكانته ومعرفته
ووجاهته وكان عالما بأنساب العرب وأيامها فلما
أسلم وجاهد في دين الله بأن دعا إليه علموا أن الإسلام

عظمة حيث دخل الصديق فيه بنفسه وماله فأسلم على
يده عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد
ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنهم أجمعين وهؤلاء سادات
الإسلام السبعة من العشرة المشهود لهم بالجنة وهم
خيار الأمم بعد الأنبياء عليهم السلام بل خيار المخلوقين
بعد المخلوقين بعد الأنبياء لا درجة لولي أعظم من هذه
ولا منقبة أشرف ولا يوازيها قيل من كان من الكفار
فلا قتل يوازي الهداية ومن يهدي الله به كافرا خير له
من أن يقتل ذلك الكافر وهذا ثابت من حديث علي
رضي الله عنه في يوم خيبر وأرادت كفار قريش قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشبثوا فيه بأجمعهم
فأتى الصريخ إلى أبي بكر رضي الله عنه أدرك صاحبك
فأتاهم وهم مجتمعون عليه صلى الله عليه وسلم فقال
ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم

بالبنات من ذكر قال فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقبلوا على ابي بكر يضربونه قالت اسما رضي الله عنها
فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو
يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام ه وروى
الترمذي باسناده عن علي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني
ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق
بلالا من ماله فكفى به فخرا ان اهله الله ان تكون هجرته
مع هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون
راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماله وان كان
قد ورد انه لما قدم الراحلة الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال صلى الله عليه وسلم بالثمن قال ابو بكر بالثمن وفي
قوله ذلك مع كون ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قد ورد انه وزن صداق ابنته عايشة رضي الله عنها
اثنتي عشرة اوقية ونشا الى معنى وهو ان الهجرة من العبادات

وكانت اساس الجهاد وظهور الدين فان صح ذلك
فلعله صلى الله عليه وسلم اراد ان تكون نفسه وماله
في الهجرة لا يشركه في ثوابه في ذلك احد وكانت
الناقة افضل الناقتين وهي الجدعا وليست بالقصوى ه
وفي حديث عايشة رضي الله عنها قالت كان لا يخطئ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي بيت ابي بكر
رضي الله عنه احد طرفي النهار اما بكرة واما عشية
حتى اذا كان ذلك اليوم الذي اذن الله تعالى فيه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من
بين ظهري قومه اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة
في ساعة كان لا ياتينا فيها قالت فلما راه ابو بكر رضي
الله عنه قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في
هذه الساعة الا لامر حدث قالت فلما دخل تاخر له
ابو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عند ابي بكر الا انا واختي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخرج من عندك فقال يا رسول الله إنما هما ابنتاي
وما ذاك فداك أبي وأمي قال إن الله أذن لي في الخروج
والهجرة قالت فقال أبو بكر رضي الله عنه الصحبة يا
رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل
ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر
يبكي يومئذ وكفى به شرفا أن الله تعالى ارتضاه لصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم في الغار وحسبه أن يقول
الله جل جلاله في حقه ما في الآية الكريمة إلا تنصروه
فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما
في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل
الله سكينته عليه إلى آخر الآية ۝ وفي الصحيح عن
أنس رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال
يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت
قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي
قوله لا تحزن ولم يقل لا تخف إشارة إلى أن حاله الحزن

لا الخوف والخوف على نفسه لو كان والحزن على ما وجد
من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرقة الأهل
والدار وضيق الغار وعدم صلاحيته للقرار وذكر
عنه أنه قال رأيت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقطران دما فاستبكيت ولقد ظهر أثر هذه الصحبة
وكون الله معهما معنى ولفظا وذلك أن الله تعالى يذكر
بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار أبو بكر
يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه
الكلمات أسماء الثلاثة ولم يقل لغيره وجعلت الرافضة
صحبة الغار نقيصة فقالوا إنما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن ۝ والحزن إما أن يكون طاعة أو معصية لا
جائز أن يكون طاعة وإلا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتعين أن يكون معصية **فنقول** ۝ نعوذ بالله من الهوى
ونسأل الله التوفيق إلى الحق ونعوذ بالله من الضلالة بأهواء
تجاهلتم أو جهلتم حقائق الأمور والاستعمال ۝ أما

الحقائق فان النهي عن الشيء لا يقتضي ان يكون المنهي فاعلا لما
قد نهي عنه فان النهي عن المستقبل وقد يكون نهي قبل
ان يقع الفعل ما الذي يمنع من ذلك فيكون نهاه عن الحزن
ولم يحزن بعده بل ربما توقع ان يحزن وقد نهى الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء عليهم السلام
عما لم يفعلوه وكفى في ذلك قوله تعالى ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع اذاهم وقال فلا تطع المكذبين
واما الاستعمال فقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
كما قال محمد صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه
اذ قال له ولا يحزنك قولهم وقال له ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر فمن نظر بالبصر والبصيرة علم
ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه لا تحزن
انما هو على سبيل التسلية والرفق به ومن ذلك ه
ثباته في يوم بدر ه روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وتسعة
عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة
ثم مد يديه فجعل يهتف بربه عز وجل يقول اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال
يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداه عن منكبيه
فأتاه ابو بكر فاخذ رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه
من ورائه ثم قال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك الحديث ه واعلم ان في هذا الحديث
ما يورد وهو لم دعا صلى الله عليه وسلم ولم يجد فيه ثم
كيف كان ابو بكر ظهر منه هذا الثبات والنبوة
احق به فنقول اما الدعا فان من المقدر ما يكون
موقوفا على شرط يقع بوقوع ذلك الشرط وان كان ما قدر
في القدم لا يتغير فلعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

احتاط فانه ربما يكون النصر موقوفا على الدعا وهذا هو الجواب
عن السؤال في حديث صلة الرحم تزيد في العمر والزنا ينقص
العمر واما جده واجتهاده فلعله عليه الصلاة والسلام لما راى
كثرة العدو واحتياج الصحابة الى الجد والاجتهاد
وراى جبريل عليه السلام على ثناياه الغبار والمسلمون والملائكة
مشمرون مجدون وكان من رسم امراء الجيوش انه لا يقاتلوا
بانفسهم عملا باليد ومتى اشتغل الامير بذلك كان سبب
الدمار غالبا بل انما يقاتل بالتحريض والهمة وسد كل
ثغر بما يناسبها وكان المسلمون في غنية عن ذلك
اذ كل اخرج غاية جده وجهده لم يبق الا الجهاد
بالدعاء واستنزال النصر فجد صلى الله عليه وسلم فيه
كما جدت الملائكة والصحابة في الجهاد واما
ثبات الصديق فكان حاصلا باخبار الصادق
عن من لا يخلف الميعاد وقوله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن تثبيتا لمن هو ثابت لكن شفقة

على محبوب جد في امر حتى اشفق عليه محبه فقال
حسبك فان هذا حاصل ولاهل التصوف في ذلك كلام
ليس هذا موضع ذكره ولا موضع استيفا شرحه
ومن ذلك ثباته يوم الحديبية وهو حديث طويل
رواه البخاري وساقه الى ان قال فقال عمر بن الخطاب
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت الست
نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على
الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا
قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت ونطوف
به قال بلى فاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال
فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر الصديق رضي الله عنه
قلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت
السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم
نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول

الله ولن يعصي ربه وانه ناصره فاستمسك بغرزه
فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انا نأتي البيت
ونطوف به قال بلى فاخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال
فانك آتيه ومطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا
الحديث فانظر ايها الذكي الفطن الطالب الخالي من
الهوى الى ثبات الصديق ومطابقة كلامه كلام النبوة
حرفا بحرف وفي هذا من الشرف والكمال ما
لا غاية فوقه للتابع وكفى به منزلة من معرفة الله تعالى
ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ٥ واما ما ورد
في هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه من انه قال فما
شككت منذ اسلمت الا تلك الساعة فللعلماء فيه وفي
قول الخليل صلى الله عليه وسلم اذ قال الله تعالى له
أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وفي رده الى
الوسوسة التي لا تضر المؤمن كما ورد عنه صلى الله
عليه وسلم حيث قال في حق ابليس الحمد لله الذي رد

كيده الى الوسوسة ٥ ومن ذلك معرفته بمراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في التخيير في الحديث السابق
ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما
عنده الحديث وذكر بكاء ابي بكر رضي الله عنه
وعلمه بذلك وقول الصحابة فكان ابو بكر اعلمنا
وورد عن علي رضي الله عنه انه قال فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر
اعلمنا به ومن ذلك ثباته يوم موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ٥ روي عن عائشة وغيرها
من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قبض وارتفعت الرنة وسجي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الملائكة دهش الناس
وطاشت عقولهم واختلطوا فمنهم من خبل ومنهم
من اصمت ومنهم من اقعد الى الارض فكان عمر
ممن خبل وجعل يصيح ويحلف ما مات رسول الله

صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى
جعل يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان
ممن اقعد علي رضي الله عنه فلم يستطع حراكا
واما عبد الله بن انيس فاضنى حتى مات كمدا وبلغ
الخبر ابا بكر رضي الله عنه وهو بالسنح فجاء
وعيناه تهملان زفراته تتردد في صدره وغصصه
ترتفع كقطع الجرة وهو في ذلك رضوان الله عليه
جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف عن
وجهه وقبل جبينه وجعل يبكي ويقول بابي
وامي طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع
لموت احد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة
وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة
وعممت حتى صرنا فيك سواء ولو ان موتك كان
اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس ولولا انك نهيت

عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا
نستطيع نفيه فكمد وادناف يتحالفان لا يبرحان
اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك
ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم
نقم لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا
واحفظه فينا ثم خرج لما قضى الناس غمراتهم وقام
خطيبا فيهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيها اشهد ان لا اله وحده لا شريك الا الله
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه
واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع
وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان
الله هو الحق المبين في كلام طويل ثم قال ايها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله
قد تقدم لكم في امره فلا تدعوه جزعا وان الله

[الصلوة]
تبارك وتعالى قد اختار لنبيه عليه السلام ما عنده
على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم
كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق
بينهما أنكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم
ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخزي تعجزوه
ولا تستنظروه فيلحق بكم فلما فرغ من خطبته قال يا
عمر أنت الذي بلغني عنك انك تقول على باب نبي الله والذي
نفس محمد بيده ما مات نبي الله أما علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا وكذا
وقال الله في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال
عمر والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل
الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث
كما حدث وان الله تبارك وتعالى حي لا يموت انا لله
وانا اليه راجعون صلوات الله على رسول الله وعند الله

نحتسب رسوله قال عمر فعقرت الى الارض يا هذا
في مثل هذه الامور الخطيرة تتبين أخطار الرجال وتتفاضل
الحلوم والقلوب وفي مثل هذا يغني الرجل الواحد غناء الالوف
والوف الالوف وهذا المقام من شك بعده في فضله على
جميعهم فشكه في عقل نفسه أولى من شكه في ذلك
قال أهل الطريق تعلق قلبه بالآلهة هو الذي أطلق لسانه
بقوله من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ولقد يظهر في هذا
المقام تفاوت بين الصديق والفاروق رضي الله عنهما ونحو
ما ورد في الحديث من انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتك
وأنت تخفض من صوتك يعني في صلوة الليل فقال قد اسمعت
من ناجيته وقال للفاروق سمعتك وأنت ترفع من
صوتك فقال كي أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان
قال الامام عبد الكريم بن هوازن القشيري في هذا
الحديث انظر الى فضل الصديق على الفاروق هما في مقام

المجاهرة وهذا في بساط المشاهدة ۝ ونحو ذلك أمرهما
في أمر الصدقة حين رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
فجاء عمر بنصف ماله وجاء أبو بكر بجميع ماله فقال لعمر
ما أبقيت لأهلك قال مثله ۝ وقال لأبي بكر ما أبقيت
لأهلك قال الله ورسوله رواه أبو داود والترمذي
عن عمر رضي الله عنه وزاد رزين فأتى أبو بكر بكل ما عنده وقد
تخلل بعباءة وروى أبو داود والترمذي ورزين أن عمر
قال اليوم أسبق أبا بكر حين أتى بشطر ماله وأنه لما
قال لهم الله ورسوله قلت لا أسبقه إلى شيء أبدا ومن ذلك
ثباته ومخالفته من أمره برد جيش أسامة حين رأت
الصحابة الردة قد استعرت نارها وخافوا على نساء المدينة
وذراريها فقال والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة
ما رددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكلمه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم
وكان أشد شيء عليه أن يخالف رأيه رأي سالم مولى أبي حذيفة

فكلمه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفا لهم حتى
يتمكن الأمر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم
وكلمه عمر عن الأنصار على ما حكاه سيف بن عمر أن يولي
مكان أسامة من هو أسن منه وأجلد فأخذ بلحيته وقال له
يا ابن الخطاب تأمرني أن أكون أول حال عقدا عقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأن أخر من السماء
إلى الأرض فتخطفني الطير أحب إلي من أن أمالئكم على
هذا الرأي وقال لهم والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم
وحدي حتى تنفرد سالفتي ولو منعوني عقالا لأنما فرض
عليهم لجاهدتهم عليه أوفي شك أنتم إن وعد الله حق
وأن قوله الصدق وليظهرن الله هذا الدين ولو كره المشركون
ثم خرج وحده إلى ذي القصة حتى اتبعوه وسمع الصوت
في كل قبيلة بين يديه الآن الخليفة قد توجه إليكم
الهرب الهرب حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد حمير
ولما طابقت غطفان وطيء أسدا على طليحة في الردة هرب

ضرار بن الازور ونضاعي وسنان ومن كان قام بشيء
من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني اسد الى ابي بكر
رضي الله عنه وارفض من كان معهم فاخبروا ابا بكر بالخبر
وامروه بالحذر فقال ضرار بن الازور فما رايت احدا
ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم املا بحرب شغوا من ابي بكر
فجعلنا نخبره وكانما نخبره بما له لا عليه ثم انه رضي الله عنه
باشر الحرب بنفسه الى ان جعل الله هداية العرب ثابتة
على يديه تكرمة له وملك الاسلام ما ملك من جميع المعمورة
في ميزانه اما بحسنه واما بالاقتداء بسنته رضي الله عنه
وارضاه تتمة في ثناء اهل البيت رضي الله عنهم عليه
رضي الله عنه قد تقدم ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية
عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروى الحسن البصري
عن قيس بن عباد قال قال لي علي بن ابي طالب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرض اياما وليالي ينادى بالصلوة فيقول
مروا ابا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نظرت فاذا الصلوة علم الاسلام وقوام الدين فرضينا
لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعنا ابا بكر
رضي الله عنه . وروي عن النزال بن سبرة قال قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر
وعمر . وروى عبد خير وابو جحيفة عن علي رضي الله عنه
مثله وكان علي رضي الله عنه يقول سبق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا
فتنة يغفر الله فيها لمن يشاء . وقال عبد خير عن علي
رضي الله عنه رحم الله ابا بكر كان اول من جمع بين اللوحين
وعن الحكم بن جحل قال قال علي رضي الله عنه لا يفضلني
احد على ابي بكر وعمر الا جلدته جلد المفتري وذكر
ابن المبارك عن مالك بن مغول عن ابن ابجر قال لما بويع
ابو بكر جاء ابو سفيان بن حرب الى علي رضي الله عنه فقال
غلبكم على هذا الامر اذل بيت في قريش فوالله لاملانها
خيلا ورجلا فقال له علي رضي الله عنه ما زلت عدوا

للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئا أنا
رأينا أبا بكر لها أهلا وروي من وجوه عن عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما ولينا أبو بكر فخير
خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا وسأل عروة بن عبد الله
أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنه باقر العلم وسيد
العلماء والتابعين عن حلية السيف فقال لا بأس به
قد حلى أبو بكر الصديق سيفه فقلت تقول الصديق
قال فوثب وثبة استقبل القبلة نعم الصديق نعم الصديق
ثلاثا فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا
ولا في الآخرة وقال قال أبو جعفر كانت قبيعة سيف
أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من فضة قلت أمير المؤمنين قال نعم
وقال جابر الجعفي قال محمد بن علي أجمع بنو فاطمة
رضي الله عنها وعنهم على أن يقولوا في أبي بكر وعمر
أحسن ما يكون من القول ٥ وقال قلت لمحمد بن علي أكان
منكم أهل البيت من يقول ذنب من الذنوب شرك قال

لا قلت أكان منكم أهل من يقول بالرجعة قال لا
قال قلت أكان منكم أهل البيت من يسب أبا بكر وعمر
قال لا فأحبهما وتولهما واستغفر لهما وفي رواية
قال معاذ الله بل نتولاهما ونستغفر لهما ونترحم
عليهما وقال سالم بن أبي حفصة سألت أبا جعفر وجعفرا
رضي الله عنهما عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال
تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى
قال جابر قال لي محمد بن علي بلغني أن قوما بالعراق
يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله
عنهما ويزعمون أني أمرتهم بذلك فأخبرهم أني أبرأ إلى
الله سبحانه وتعالى بريء منهم والذي نفس محمد بيده لو
وليت لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد إن
لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما إن أعداء الله غافلون
عنهما وقال لي أبو جعفر لما ودعته أبلغ أهل الكوفة أني
بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر ٥ وقال بسام بن عبد الله

سألت أبا جعفر ما تقول في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
فقال والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما وما أدركت
أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما ۝ وقال حكيم
ابن جبير سألت أبا جعفر عمن يسب أبا بكر وعمر رضي
الله عنهما فقال أولئك المراق ۝ وعن سفين الثوري
عن جعفر بن محمد قال قال لي أبي يا بني سب أبي بكر
وعمر من الكباير فلا تصل خلف من يقع فيهما وقال
كثير النوا سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال
تولهما فما كان من إثم ففي عنقي قال فقلت إنهم
يزعمون أنك تقول هذا تقية فقال أنا أخاف الأموات
ولا أخاف الأحيا فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا
وقال أبو جعفر من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما فقد جهل السنة وروي عن أبي حنيفة رضي الله
عنه أتيت محمد بن علي رضي الله عنهما فسلمت عليه وقعدت
فسلمت عليه وقعدت اليه فقال لا تقعد الينا يا أخا

فقد نهيتم عن القعود إلينا فقلت يرحمك الله هل
شهد علي موت عمر رضي الله عنهما فقال سبحان الله ۝
أوليس القايل ما أحد من الناس أحب أن ألقى الله عز وجل
بمثل عمله أحب إلي من هذا المسجى عليه ثوبه قلت
قلت فإن قوما يزعمون أنك تبرأ منهما وتنتقصهما
فلو كتبت لهم كتابا بالانتفاء من ذلك قال
أنت أقرب إلي منهم أمرتك أن لا تجلس فلم تطعني
فكيف يطيعني أولئك ۝ وقال عبد الملك بن أبي
سليمن قلت لمحمد بن علي إنما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قلت فإنهم يزعمون أنه علي بن أبي طالب قال علي منهم
وقال سالم قال لي جعفر لا نالتني شفاعة محمد يوم
القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ إلى الله من عدوهما
فهذا أيدك الله بعض ثناء أهل البيت عليهما وقد
نقل محمد الباقر إجماع أولاد فاطمة رضي الله عنها

على ذلك واخبر ان من يسبهما من المراق فهو وانه يتقرب
الى الله تعالى بسفك دمايهم وانه لا يقول ذلك تقية
ولم آت بهذه اللمعة من كلام اهل البيت الا ليعلم
ان الرافضة ليسوا متعلقين من اهل الدين بشي ولا
ولا يتمسكون بصحابة ولا بقرابة فلهذا كتبت
ثنا اهل البيت عليهما والا فالشيخان بعد شهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنى عن شهادة
غيره من المخلوقين ولقد قال الاعمش رضي الله عنه
الا تعجب من كثير النوا يسال ابا جعفر وجعفرا
عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولو كان علي
رضي الله عنه ههنا ما سالنه عن ابي بكر وعمر
وعن مالك بن انس رضي الله عنه انه قال واعجبا
يسال ابو جعفر وجعفر عن ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما واعلم انه لولا ما دهي الاسلام
من اعداء الدين المتلبسين به لحقن دمايهم لم يحتج

احد في فضل ابي بكر وعمر الى كلام عالم ولا سال
احد عن ذلك ۝
فالصبح اغني بانتشار ضيايه عن ان يقال اضا او قد اشرقا
فهذا هو الكلام في افضل الناس بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبعد ساير الانبياء في الرتبه والزمان
على الخصوص واما على العموم فافضل الناس بعد الانبياء
من الامم امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد
بالامة ههنا من امن به واتبعه ۝ وذهب قوم الى ان امته
من ارسل اليه سوا الذي امن به او لم يومن وهو ضعيف
في الاستعمال والمشهور الاول وعليه الاستعمال
الان ۝ وشرف هذه الامة على بقية الامم باجماع الامة
والدليل عليه من الكتاب ايات منها قوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
الاية ۝ وهذه الاية صريحة في رجحان امة النبي صلى
الله عليه وسلم على كل امة سواها وما يرد على هذه الاية

من الأسولة أضربنا عن ذكرها لوضوح الجواب عنه ۝
من الآيات ۝ ومنها قوله تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا الآية ۝ والوسط هو العدل قال الله تعالى قال
أوسطهم قيل المراد أعدلهم ۝ قال الشاعر ۝
هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل
ثم بين تعالى انه سبحانه وتعالى أهلهم لأن يكونوا شهدا
على الناس فجعلهم سبحانه وتعالى بالنسبة إلى الأمم
كالنبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إليهم وناهيك
بذلك شرفا وأنهم بعد لون على بقية الأمم فإن قيل
أن الوسط هو المتوسط ۝ إما بين الأعلا والدون ولفظه
معط أن غيره أعلى منه فهذه الآية بعينها هي دالة على أن
ثم أمة أعلا منها وثم أمة أدون منها كما إذا قلت
هنا علمت أن فوقه ما هو خير منه كما يقتضي لفظ التوسط
فإذا كان وسطا في السمن فهو بين المخ والأعجف ۝
وإذا كان وسطا في الجمال فهو بين الحسن والقبيح

ولذلك لا يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط
في العلم ولا وسط في الفضل ولا في الجودة قلنا الوسط
مدح في موضعين أحدهما في النسب كما يقال بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط قومه حسبا
ونسبا وقيل في وصف خديجة رضي الله عنها هي في أوسط
قومها ۝ والوسيط في قومه من ذلك ۝

قال العرجي

كأني لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو

وإنما كان مدحا في النسب لأن أوسط القبيلة
أعرفها وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف
والوسيط وأجدر أن لا يضاف إليه الدعوة لأن الآبا
والأمهات قد أحاطوا به من كل الجهات فكان
الوسط في النسب مدحا بسبب ذلك والثاني
في الشهادة كما في الآية وكما في قوله تعالى
قال أوسطهم ۝ والمراد أن يكون الشاهد في شهادته

وسطاً كالميزان لا يميل مع أحدٍ ولا يوجد فيه هوى
ولا ميل برغبة ولا رهبة من جانب من الجوانب فوصفه
بالوسط غاية في التعديل ۞ وظن كثير من الناس أن
الوسط من كل شيء خياره قالوا ومن ذلك
الصلوة الوسطى قالوا هي الفضلى ونحوه قول الجوهري
الوسط من كل شيء أعدله وليس الأمر كذلك
بل الوسط ليس بمدح ولا ذم لكن في النسب والشهادة
مدح فقط ۞ وقد جاء لفظ الوسط ذماً في موضع واحد
قالوا في المثل أثقل من مغنٍ وسط وأرادوا بذلك
الذم فإن المغني إن كان مجيداً جداً أطرب وخف على
القلوب وإن كان رديا جداً أضحك واستسخر به
وخف على القلوب أيضاً للاستهزاء به ۞ قال الجاحظ
إنما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس
الغناء الفاتر الذي لا يمتع بحسن ولا يضحك بلهو ۞
ومنها قوله تعالى وفي هذا ليكون الرسول

شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس الآية
ووجه الاستدلال به ما تقدم ۞ وقد ورد أن الله جل
جلاله إذا سأل الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة
هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما أتانا من بشير
ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء
ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وفي الكتاب العزيز
آيات أخر دالة على شرف هذه الأمة على من سواها لكن
هذه الآيات أظهر فلذلك اقتصرنا عليها والدليل
من السنة أحاديث من ذلك ما روى البخاري
ومسلم والترمذي والنسائي بإسنادهم عن عمران
بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير
الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً فمن يأتي بعدهم
قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية

ويحلفون ولا يستحلفون وكذلك أخرج صاحب الصحيح
باسنادهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم
يمينه ويمينه شهادته . فإن قيل لا نسلم عموم الآية
في حق غير أمته صلى الله عليه وسلم خاصة لأن
لفظ الناس للعموم فلتكن أصحابه أشرف الناس وكانت
أمته بأصحابه خير الأمم وتجويز معهود ثابت بنفي
بالأصل . فإن قيل فقد روى مسلم في صحيحه
خير أمتي قرني . قلنا كون أصحابه خير أمته لا يمنع من
أن يكونوا خير الناس غير الأنبياء فأصحابه عليه السلام خير من
أمته وخير من غير أمته والجمع بين الحديثين ممكن
وقد تقرر في الأصول أنه لا يجوز تخصيص العام بذكر
بعضه فإن قيل قد ذكر في الحديث من هو دونهم
في المرتبة ولم يتعرض إلى غير أمته . قلنا

لا ذكر غير أمته

لا يلزم من ترك التعرض أن لا يكونوا مرجوحين ثم لا
يبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن من هو دونهم
في المرتبة بصفات مذمومة فلعله صلى الله عليه وسلم ذكرهم
ليتجنب صفاتهم من وفقه الله تعالى ومن ذلك ما في
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث رؤيته
تعالى يوم القيامة من قوله صلى الله عليه وسلم فأكون
أول من يجوز من الرسل بأمته وهذا يدل على شرفه
عليه السلام وشرف أمته ومن ذلك ما في صحيح
البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أنه سأل
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال فقلت أخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله
إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق

ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يغفر ويعفو ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا
الله ويفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما زاد غير
البخاري من طريق محمد بن اسحق صاحب المغازي بعد
ان قال ولا سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا
قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته ۝
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة
واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به
بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس والمراد الاستدلال بهذه الكلمة فهذا ان

الحديثان صريحان في رجحان امة محمد صلى الله عليه وسلم
على سائر الامم والاحاديث التي تدل بغير صراحة فكثير
مثل حديث والذي نفسي بيده اني لارجوا ان تكونوا ثلثي
اهل الجنة ۝ وحديث ان اتاني ات من عند ربي فخيرني
بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة فهذا باب كبير يطول بذكره الكلام
مع ان هذه غنية بالاجماع وبالكتاب عن كل دليل
واما الاستدلال بافعال هذه [الامة] فاعلم ان اثرها
في اقامة الحق لم تبلغه امة غيرها فانهم ازالوا امين
الرباط ضلالة اليهود من التشبيه والافتراء على الانبياء
وتحريف التوراة وضلالة النصارى في القول
بالتثليث والاب والابن والحلول والاتحاد وضلالة
المجوس في اثبات الالهين وفي وقوع المجانسة بينهما وفي
تحليل نكاح الامهات والبنات وضلالة العرب في
عبادة الاصنام والنهب والغارة وهذه المفاسد كان

أهلها هم أهل النجدة والقوة وسكان وسط المعمورة
وجمهورها فأخرجت الأمة هذه الأمم من الظلمة إلى
النور ومن الكذب إلى الصدق ومن الباطل إلى الحق
ولذا أزالوا الجهالة عن وسط المعمورة ولم تحارب من
الأمم أحدهم أعداء الله قدر محاربة هذه الأمة وأما
بنو إسرائيل فإنما قاتلوا عن الأرض المقدسة خاصة
وهذه الأمة طهرت جميع مساجد الله ونصرت كلمة
الله وأذهبت الضلالة وعظمت كل نبي ولم يقولوا نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ولم يقتلوا أنبياءهم ولم يعبدوه
بل سلكوا الطريق الوسطى فأين من يلحق غبارها أو
يعطي منارها أو يساجلها بفخار أو يكون له دار كما
لها من الديار ۝
وما كل دار روضت دارة الحمى ولا كل بيضاء الترائب زينب

وأما المسألة الثانية

ومطلوبها من أعلى الخلق درجة يوم القيامة وهذه

من المعضلات ومجازات العقول ولا بد من تقديم
مقدمات **الأولى** في المفاضلة بين الملائكة والبشر
وأجمعت الأمة على أن أحد الجنسين أفضل من الجنس الآخر
وإن اختلفوا في التعيين وذكروا في التعيين ستة
مذاهب أحدها أن جنس الإنسان أفضل من جنس الملك
وصاحب هذا المذهب لا يمتنع من ترجيح واحد من الملائكة
على واحد من البشر كما أن نوع الرجل خير من نوع المرأة
ورب امرأة خير من رجل أو رجال كثيرة فلا يشك
عاقل في فضل ملك على كل كافر ولا فضل مؤمنة
على كل رجل كافر **الثاني** أن جنس الآدمي أفضل
من نوع الملائكة الأرضية وهذا لا يمتنع أيضا من
رجحان ملك أرضي على آدمي معين **الثالث** أن الصالحين
من الآدميين أرجح من الملائكة وصاحب هذا المذهب
قد يمتنع من ترجيح ملك من الملائكة على واحد من
الصالحين وقد لا يمتنع من ذلك **الرابع** أن النبيين

أرجح من الملائكة عليهم السلام أجمعين وهذا كالأول
في أنه يمتنع وقد لا يمتنع الخامس أن جنس الملك أفضل
من جنس البشر وهذا قد يمتنع من رجحان بشر على ملك
وقد لا يمتنع وتفارق هنا من رجح جنس البشر على جنس
الملك حيث جزمنا أنه لا يمتنع من ترجيح ملك على بشر
فانا نعلم أن من الآدميين كفارا يستحيل أن يرجحوا
على ملك من الملائكة وليس في الملائكة إلا من هو مؤمن
مطيع فربما لا يجزم صاحب هذا المذهب من ترجيح أحد
عليه السادس الوقف وعليه جماعات ٥ واعلم
أن المنقول عن أكثر أهل السنة أن الأنبيا أفضل
من الملائكة وأن الفلاسفة والمعتزلة رجحا الملائكة
السماوية على البشر وحكى الإمام فخر الدين الرازي رحمه
الله تعالى ذلك عن القاضي أبي بكر وأبي عبد الله
الحليمي من أصحابنا ٥ ونقل غيره عن القاضي أبي بكر
رضي الله عنه القطع برجحان أحد الجنسين على الآخر

من غير تعيين وأنه اختار الوقف في النبيين وأن ذلك
إنما يعرف بنص قاطع والمآخذ المذكورة من الطرفين
ظنية وتحقيق الأفضلية من طريق العقل والاعتبار
يتوقف على حصر الفضائل من الطرفين ومعرفة رتبها
عند الله تعالى ومقابلة الكميات والكيفيات
منها وجبر ما نقص من أحدهما بزيادة الآخر
والعلم بذلك عزيز ٥ وأقول إن ما قدمناه في
فضل أبي بكر رضي الله عنه أتى هاهنا من معرفة ذلك
بإخبار الصادق أما معرفة ذلك بما يظهر في
رجحان آثار الأفعال ففيه بعد عن ذلك لاتحاد
ما وصل إلى البشر فيختلفون في الفوز به وقد يكون
للملائكة عليهم السلام مدارك ليست للآدميين
ومعارف لكن إخبار الصادق إذا حصل فهو شفا
الصدور ٥ وقال بعض المتأخرين لا يتحقق خلاف
بين الفلاسفة والمليين في هذه المسئلة لأن الفلاسفة

رجحانهم اعتمادا على ان الملائكة ليست اجساما كما
عندهم وانما هم جواهر مجردة لا متحيزة ولا حالة
في متحيز والمليون يرون انهم اجسام وهذا الذي قاله
لا حاصل له فانهم وان كانوا جواهر مجردة فهل
مع تجردهم افضل عند الله تعالى ام لا فاختلافهم
في حقايقهم لا يمنع من اختلافهم في الافضلية
اختلافا معنويا وها انا ذاكر ان شاء الله من ماخذ المذاهب
ما فيه روح فاما ما هو مندفع باول النظر فلست
ذاكره مع الاختصار لكون هذه المسئلة غير مهمة
في الدين وقبل الخوض في الحجاج من جهة المذاهب الاربعة
الاول فليعلم ان ما دلت على رجحان قوم مخصوصين
فانه لا يدل على رجحان الجنس على الجنس كما قدمنا من انه
يجوز رجحان امراة على رجال مع رجحان نوع الذكورة
على نوع الانوثة نعم اذا رجح افراد من الجنس على كل الجنس
الاخر قوي رجحان الجنس بافراده على الجنس الاخر

ثم ليعلم ان كلما دل على رجحان الصالحين على الملائكة
عليهم السلام دل على رجحان الانبيا عليهم السلام
على الملائكة من غير عكس بطريق الاولى لانعقاد
الاجماع على ان كل نبي افضل من كل ولي لا نعرف
خلافا في ذلك وما يحكى من من يدعو ان بعض المنتسبين
الى التصوف من الغرور وتدليس الشيطان فليس ذلك
من دين الله تعالى في شيء كما حكي من قول بعضهم
اللهم اجمع على محمد اقفال صاحبه لا جمعه الله عليك
يشير الى انه في مقام الجمع فلا يشاهد مخلوقا وقد بذلك
تبين كذبه فانه شعر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى
طلب جمعه وشعر بنفسه حتى طلب الجمع عليها وشعر
بحاله حتى عرف انه قد اذهله عن محمد صلى الله عليه وسلم
والمعتمد في رجحان النبي على الولي الاجماع والماخذ فيه
ضعيفة وفي غنى عنها بالاجماع وعند هذا نقول
حجة القايلين بتفضيل الادميين على الملائكة يرجع الى

وجوه أحدها ما عامل الله به الآدميين الثاني
ما أمر الله به ملايكته بمعاملة الآدميين به الثالث
ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به الرابع
التمسك بالعقل الوجه الأول من ذلك ان الله
تعالى أقسم بعمر محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز
ولم يقسم بعمر أحد من الملايكة فقال تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون ولذلك روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ما خلق الله تعالى وما ذرا وما
برا نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما
سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد غيره ومن ذلك
ان الله تعالى جعل آدم خليفة وولده خلفا بعده ان
تعرضت الملايكة الى تحصيل هذه الخلافة بدون الآدميين
وتفضيل أنفسهم وردهم الله تعالى عن ذلك بانفراده
سبحانه وتعالى بالعلم فقال سبحانه وتعالى واذ قال
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون ومن ذلك
ان الله تعالى شرف آدم عليه السلام على الملايكة
بالعلم فوجب ان يكون أفضل منهم أما انه شرفه عليهم
بالعلم فلانه علم آدم الأسماء كلها ولم يعلمها الملايكة
فلما سألهم أخبروه بانه لا علم لهم الا ما علمهم وأخبرهم
آدم عليه السلام بذلك كله فأقروا له واذا كان
أعلم منهم وجب ان يكون أفضل منهم لقوله تعالى قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون واعلم ان هذه
الطريقة يدل على رجحان آدم عليه السلام على جميع
الملايكة حتى لو كان آدم في صعيد والملايكة
عليهم السلام في صعيد لكان آدم أفضل من الجميع
لكونه أعلم من الجميع فان صح هذا رجح ان يكون
الجنس أفضل من الجنس ومن ذلك ان الله تعالى
سخر الملايكة لبني آدم وكانت بنو آدم افضل

وهذا فيه بيان لرجحان البشر على الملايكة ع

من الملائكة اما انه سخر الملائكة لهم فدليله قوله
سبحانه وتعالى وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعا منه ومن جملة من في السموات والارض
الملائكة وهذا معلوم ولا احد من الملائكة الا في
السموات او في الارض والدليل عليه ان الكفار
لما ادعوا لله ولدا رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
فلو وجد ملك في غير السموات والارض لم يتم الجواب
والرد عليهم بجواز ان يكون ذلك الذي ليس في السموات
والارض مراد الكافر بقوله انه ولد لله تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا واذا لم يكن ذلك في غير السموات
والارض فلا ملك الا وهو مسخر لبني ادم لعموم الاية
واذا كانت الملائكة مسخرة لبني ادم علم ان الادميين
افضل من الملائكة وهذا يدل على رجحان الجنس
على الجنس والرجحان مما استقر في العقول ان من

سخر له احد فهو افضل من المسخر ومما يدل على
رجحان الجنس على جنس الملائكة ومن ذلك
ان الله تعالى اصطفى من بني ادم طايفة على الملائكة
فتلك الطايفة ارجح من الملائكة اما انه اصطفى
طايفة فهي مذكورة في قوله تعالى ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين وكانوا
ارجح على من سواهم من العالمين والملائكة من العالمين
فكانوا ارجح منهم وانما قلنا ان الملائكة
من العالمين لان لفظ العالمين يتناول جميع من يعقل
ومن جملة من يعقل الملائكة فدلت هذه الاية
على رجحان بعض الصالحين وبعض الانبياء على الملائكة
فان قيل انما تدل هذه الاية ان لو كان لفظ العالمين
عاما وليس كذلك لانه لو كان عاما لكانوا ارجح
من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو باطل بالاجماع لا يقال
المراد عالموا زمانهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس من

[illegible]

فاخبر سبحانه باصطفاء هؤلاء المذكورين على العالمين

جميع

عالمي زمانهم لكن الملائكة من عالمي زمانهم فكانوا
موجودين بالنسبة اليهم دون محمد صلى الله عليه وسلم لانا
نقول هذا تخصيص ايضا فلا بد من رجحان تخصيصكم
على تخصيصنا وذلك انما يكون بدليل والاصل عدمه
والجواب ان هذه الاية تدل على رجحان الطايفة على
الملائكة وغيرهم ممن ليس من آل ابرهيم ولم يدل على رجحان
آل ابرهيم بعضهم على بعض واذا كان سقط السؤال كذلك
بالكلية فان محمدا صلى الله عليه وسلم من آل ابرهيم فهو
من الراجحين وليس في الاية ما يقتضي ان بعض آل ابرهيم راجح
عليه **فان قيل** ان شملت الاية محمدا صلى الله عليه وسلم
لكونه من آل ابرهيم فلتشمل آل عمران لكونهم من آل
ابرهيم بالوجه الذي ذكرتموه في محمد صلى الله عليه وسلم
وبالاولى لانهم اقرب بالزمان الى ابرهيم عليه السلام
لا يقال انما خصوا بالذكر تشريفا لهم بعد دخولهم
في آل ابرهيم **لانا نقول** انما يكون ذلك اذا دخلوا

على من لم يذكر كما قيل في تخصيص جبريل وميكائل عليهما
السلام بعد دخولهما في قوله تعالى من كان عدوا لله
وملائكته لكن ليس آل عمران ارجح من بقية آل ابرهيم
بالاجماع لان من جملة آل ابرهيم محمدا صلى الله عليه وسلم
كما ذكرتم وليسوا ارجح عليه بالاجماع **والجواب**
ان آل عمران داخلون في آل ابرهيم ومحمدا ايضا وجميع ذريته
باجماع قولكم انما خصوا للتشريف على من ذكر تخصيصه
قلنا لا يلزم فلعل تخصيصهم بالذكر توطية لذكر ام مريم
ومريم وابنها عليهم السلام وهذا هو الواقع في سياق الاية
فان قيل فقد وردت لفظة العالمين في حق بني اسرائيل
فليكونوا افضل من بقية العالمين وذلك في قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين وليسوا افضل ممن سواهم بالاجماع لفضل العرب
عليهم قلنا لا يلزم من تخصيص لفظ في اية تخصيصه في اية
اخرى وهذه الاية قد دلت على رجحان طايفة من الانبياء

[illegible]

والصالحين على جميع الملائكة فلسنا نسلّم بها في رجحان
الجنس على جنس الملائكة وبهذا يتنخّل منه رجحان المجموع
على المجموع اما الرجحان الافراد على الافراد ففيه نظر ٥ واعلم
انه وان حسن الاستدلال بهذه الاية على رجحان هذه الطائفة
على الملائكة والجن فانه لا يحسن الاستدلال بها على رجحانها
على بقية المخلوقات ولا يتوهم ذلك من جهة ان العالم كل
موجود سوى الله تعالى ٥ او كل موجود سوى الله تعالى
وصفاته على التعريفين وذلك يعم كل مخلوق وذلك لان
لفظ العالمين مختص بما يعقل ولا يدخل فيه ما لا يعقل اجماعا
وان دخل في العالم ٥ ولذلك قيل ان لفظ العالمين اسم جمع
وليس جمعا لانه ليس من شان الجموع الا يدخل فيها ما هو
داخل في مفردها ولذلك منع سيبويه رحمه الله من ان
يكون الاعراب جمعا للعرب لاختصاص الاعراب بالبادين
وكون لفظ العرب اسما للجيل البادي منه والحاضر ورآه
بعضهم جمعا للعالم مخصوصا بما يعقل وجمع جمع ما يعقل

ليقوم جمعه مقام وصفه بما يعقل ليخرج بما دخل في الواحد
وليس في الجمع وهو ما لا يعقل ولهذا موضع بسط فيه لكن
علم من ذلك كله ان لفظ العالمين لا يتناول بقية المخلوقات
التي ليست بعاقلة **ومن ذلك** محبة الله تعالى طائفة من الادميين
واخبر بذلك في محكم كتابه في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه الاية ولم يخبر الله تعالى عن محبته احدا من الملائكة
والحب المعروف بين الناس من صفات الاجسام فهو ماول
اما بان يريد منهم ارادة المحب كما هو مذهب الشيخ ابي الحسن
الاشعري او معاملتهم بمعاملة المحب كما هو راي القاضي ابي بكر
وغيره من اصحابنا وعلى كلا التقديرين فقد شرفهم باخباره
عن محبته اياهم ولم يشرف الملائكة بذلك فكانوا افضل
منهم والقوم هم المذكورون في حديث عياض الاشعري
روى الحاكم باسناده عن عياض الاشعري انه لما نزلت
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي
الله عنه ولا يبعد دعوى الإجماع على أن القوم المذكورين أتو
كلهم أو أتى بعضهم على اختلاف المذاهب في أنهم المجاهدون
في الردة أو كل مجاهد إلى يوم القيامة والاستيناس بهذه
الآية في المحبة أولى من الاستيناس بحديث لا يزال العبد يتقرب
إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وهذا لا يختص بالآدميين
فلعل الملائكة داخلة في هذه المحبة بهذه الصفة وأهل
السنة لا يمتنعون من وصف الملائكة بالأيدي والسمع
والبصر **الوجه الثاني** ما أمر الله تعالى الملائكة أن يعاملوا
الآدميين وهو سجودهم لآدم عليه السلام والسجود أعظم
أنواع الخدم ومن أهله الله تعالى أن يكون مخدوما بأشرف
أنواع الخدم فهو أفضل ممن أهله الله تعالى أن يكون خادما
بها وقد أورد أن السجود لعله كان سلاما منهم كما كان من
يعقوب سلاما على يوسف وليس تفضيلا ليعقوب على يوسف

أو لعل السجود كان لله تعالى وآدم كان كالقبلة وأجيبوا
بأن قول إبليس أرأيتك هذا الذي كرمت علي يدل على أن ما صدر
كان إكراما لله تعالى لآدم عليه السلام على من سجد ○
ولذلك قال إبليس ما قال وصد واستكبر وما المانع من
أن يكون يوسف أشرف من يعقوب مع كون يوسف رسول
بدليل قوله تعالى حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ويعقوب ليس برسول **الوجه الثالث** ما فهم من
إخباره عليه السلام دالا على ذلك ○ من ذلك حديث القيامة الصلوة ٢٩
في الصحيحين من حديث أبي هريرة وهو قوله صلى الله عليه وسلم
ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل مع قوله تعالى يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صوابا ○ **فإن قيل** هذا الحديث يعم الرسل من الملائكة
والبشر فتخصيص البشر تخصيص من غير مخصص ○ **قلنا** إنما
يصار إلى العموم عند عدم العهد وفي سياق الخبر أنه صلى
الله عليه وسلم قال وأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا

يتكلم أحد بوجود الا الرسل فالرسل في الاول هم الادميون
لكونهم ذوي الامم بخلاف رسل الملائكة فانه لا امم
لها وذكر الرسل الثانية للادميين وفي هذا نظر فان
السباق يقتضي سبقه بامته عليه السلام رسولا له امة اما ان
كل رسول مذكور في السباق له امة بل الاحسن .
الجواب ان المفهوم من اطلاق الرسل من الادميين اما
رسل الملائكة فانهم لا يفهمون الا بتقييد او غيره من
القرائن **ومن ذلك** ما رواه الترمذي باسناده عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول من تنشق عنه الارض واكسى الحلة من حلل الجنة ثم
اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام
غيري قال الترمذي حديث حسن صحيح وقد استدل
لهذا المذهب بايات واخبار ليست دلالتها بما تحيل
فاعرضت عن ذكرها **الوجه الرابع** دليل العقل وهو ان
طاعة البشر اشق فكان الاجر اكثر . **بيان الاول**

ان طاعتهم مع الموانع من الشهوة والغضب وغير ذلك من العلائق
الشاغلة ومع الشيطان وشدة وسوسته وما القاه في صدور
المخالفين للملة من الشبه التي تصعب ازالتها الا ممن عصمه الله
او وفقه . ثم من الشبه ما يقرب في الدنيا خيال يصدقه كما
يظهر في بعض الاحايين من وقوع ما يقول المنجمون ان
الكواكب تدل على وقوعه ثم ربط الشيطان هذا بعقد
ان الكواكب مؤثرة وايضا بان بعض تكاليفهم ليست
معروفة بالنص بل بالاستنباط . ولو ادعى مدع انها
الاكثر لم يبعد **بيان الثاني** قوله عليه السلام اجرك على
قدر نصبك . وحديث افضل الاعمال احمزها **فان قيل**
هذا معارض بان من الاعمال ما يخف ويكون ثوابه اكثر
مثل الايمان فانه لا ثواب اعظم من الثواب عليه مع خفته
قلنا انما يصار الى ذلك بدليل . وايضا فان الله تعالى
خلق الملائكة وخلق لهم العقل ولم يخلق لهم الشهوة
وخلق البهائم ولم يخلق لهم العقل بل خلق لهم الشهوة

وخلق الآدميين وخلق لهم الأمرين فمن غلبت شهوته على
عقله فهو شر من البهائم قال الله تعالى إن هم إلا كالأنعام
بل هم أضل ٥ فوجب أن من غلب عقله على شهوته أن يكون
أفضل من الملك وهذا قياس لا أصل له ولا مدخل له فيما
نحن بصدده وأما مأخذ من قال بترجيح الملك على
البشر فيرجع إلى وجوه أحدها ما ورد في الكتاب
العزيز عن الله تعالى دالا على رجحانهم الوجه الثاني
ما ورد في الكتاب عن الآدميين دالا على الاعتراف
برجحانهم الوجه الثالث ما ورد في الكتاب من أن الله
جعل فيهم ما يدل على رجحانهم الوجه الرابع ما يدل على
ذلك من الأخبار الوجه الخامس ما يدل على ذلك من العقل أما
الوجه الأول فمن ذلك التقديم في الذكر إذا ذكرهم
مع الآدميين كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال الآية ٥ وكقوله تعالى
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله ٥ وكقوله تعالى
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما
بالقسط وكقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس وتقديم الأفضل قاعدة العرب ولذلك
روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال للقائل كفى الشيب والإسلام
للمرء ناهيا ٥ هلا قدمت الإسلام على الشيب ٥ وقال
سيبويه يقدمون ما هم بشانه أعنى وبيانه أهم ٥
ومن ذلك قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون وهذا الترتيب يقتضي
تفضيل المذكور ثانيا على المذكور أولا من جهة
الواو فإنها لمطلق الجمع بل لأن هذا الترتيب في الاستعمال
يقتضي ذلك ٥ ولهذا يقال لن يستنكف الوزير أن
يخدم العالم ولا السلطان ولا يحسن العكس لا
يقال هذا الترتيب إنما عرف في المثال رجحان الثاني على
الأول من جهة العادة والواقع ولذلك لم يظهر

رجحان القلايد على الهدي في قوله تعالى لا تحلوا
شعاير الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلايد
لانا نقول المدعي اعطا هنا النظم الترجيح للثاني
على الاول في الاستنكاف لا في غيره والاستقرا مقبول
من مدعيه لا يدفع الا بنقضه **ومن ذلك** قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ووجه الاستدلال ووجه الاستدلال ان لفظ
كثير يقتضي ان بقي من الخلق من لم يفضل الادميون
عليه وهم افضل من كل الخلق سوى الملايكة بالاجماع
فلو فضلوا على الملايكة لم يبق للفظ كثير فايدة واذا
لم يفضل الادميون على الملايكة فاما ان يكونوا سوا
او تفضل الملايكة والاول باطل بالاجماع المحكي
في اول المسالة على ان احد الجنسين افضل من الاخر
فتعين ان تكون الملايكة افضل **ومن ذلك**

ان الله تعالى قرر عظمته بقوله رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ثم لما اراد
الزيادة في تقرير هذا المعنى قال يوم يقوم الروح
والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا فجرى هذا مجرى التنبيه بالادنى على
الاعلا لان المعنى اذا كان هولاء كذلك فكيف
حال الثقلين **واما الوجه الثاني** فمن ذلك قول نوح عليه
السلام ولا اقول اني ملك وهذا يشير الى عظمة
الملك بالنسبة الى رتبته عليه السلام حتى يحسن
هذا السياق ونحو ذلك امر الله تعالى نبيه ان
يقول قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك قالوا وبعد ذلك ان الفضايل
الروحانية الحقيقية ليست الا ثلاثة اشيا اولها
الاستغنا المطلق وجرت العادة في الدنيا ان من ملك
المال الكثير فانه يوصف بكونه غنيا فقوله قل لا

أقول لكم عندي خزائن الله إشارة إلى أني لا أدعي الاستغناء
المطلق ۞ وثانيها العلم التام وإليه الإشارة بقوله تعالى
ولا أعلم الغيب ۞ وثالثها القدرة التامة الكاملة
وقد تقرر في الخواطر أن أكمل المخلوقات في القدرة
والقوة هم الملائكة وإليه الإشارة بقوله ولا أقول
لكم إني ملك ومن ذلك قول إبليس لآدم وزوجه
عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا
أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين والاستدلال
به من جهة عظمة الملك عند الثلاثة بالنسبة إليهم
ومن ذلك ۞ قول النسوة عن يوسف عليه السلام
ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ۞ وهذا يدل على
فضل الملك على البشر عند الآدميين من الرجال والنساء وعند الجن
الوجه الثالث ما جعلهم الله تعالى عليه ومن ذلك ۞
أنه جعلهم غير مستكبرين ووصفهم بالقرب
فقال تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته

ولا يستحسرون وفي هذا نواقص بالبشر ومن ذلك
أن الله تعالى جبلهم على الطاعة وجعلها سجية لهم
فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ومن ذلك أن الله تعالى جعلهم رسلا فقال
تعالى جاعل الملائكة رسلا وذلك عام في كل
الملائكة وإذا كانوا كلهم رسلا وجب أن يكونوا
أفضل من الآدميين الذين رسلهم معدودون لما تقرر
من أن الرسل أفضل من كل من سواهم ومن ذلك
أن الله تعالى جعلهم حفظة على الآدميين فقال
تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما
تفعلون وإذا كانوا عدولا على الآدميين وجب أن
يكونوا أفضل كما تقدم في رجحان هذه الأمة على الأمم
الغابرة بعدالتها وشهادتها على الأمم الوجه الرابع
في الأخبار ۞ فمن ذلك ۞ ما في الصحيحين بإسنادهما
عن أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال أمر الله الملائكة والرسل
أن تشفع ۝ ومن ذلك في حديث الشفاعة من حديث
النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن قول الله عز
وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون ۝ والاستدلال
بهذا والذي قبله من باب البداءة بالأفضل ومن ذلك
ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن
ربه عز وجل من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وربما
كان الذاكر في ملأ من الآدميين منهم نبي من
الأنبياء الوجه الخامس ۝ دليل العقل ۝ من ذلك
وهو أن البشر لهم أحوال أشرفها أن يلحقوا بالملائكة
وهي التقوى والعبادة ۝ وأخسها أن يلحقوا بالشياطين
ومن ذلك يلحقوا بالأنعام والجماد فكيف يفضلون
على من هم على أشرف أحوال الآدميين دائما وقد ذكرت

أوجه كثيرة من جهة العقل بارعة إلى قواعد الفلسفة
أعرضنا عن ذكرها وقد أجاب أهل السنة عما ذكره
وها أنا ذاكر ما ذكره وما يمكن أن يجاب به
والجواب عن الوجه الأول ۝ أن النفوس
مجبولة على عظم الملائكة وقوتها على البطش وإخراب
المدن وكما فعل جبريل عليه السلام بمدائن قوم
لوط فكانت عداوتهم في نفوس الآدميين أوقع
في النفوس من عداوة بعضهم بعضا فلذلك ذكرت
معاداتهم بعد معاداة الله تعالى وقبل معاداة
الرسل وأما الإيمان بالرسل فأخر عن الإيمان بالملائكة
وجاء على الترتيب الواقع لكون الملائكة يأتون
بالكتب من الله تعالى ويوصلونها إلى الرسل فلم يكن
ذلك التقديم للتفضيل ۝ وأيضا فإن الإيمان بهم إيمان
بالغيب كما أن الإيمان بالله تعالى إيمان بالغيب فجمع بينهما
للمناسبة ولرجحان الإيمان ولذلك مدح الله تعالى

المتقين بوصفهم اياهم انهم يؤمنون بالغيب ولو كان
الترتيب للتفضيل لوجب رجحان الملائكة على الكتب
والكتب راجحة على الملائكة لان الكتب التي يؤمن
بها كلام الله القديم وكلامه سبحانه وتعالى صفته
فاستحال ان تكون الملائكة افضل واما اية الشهادة
فقد توافقا على شهادة اولي العلم التي هي مستفادة من
الادلة لكون شهادتهم وشهادة الله تعالى ليستا
عن دليل فناسب ان يذكر الشهادتان معا ولنا انه
الاستنكاف فانه وان سلم ان هذا الترتيب يقتضي رجحان
الثاني على الاول لكن لا يلزم منه ان يكون الرجحان
في الفضل بل فيما يناسبه وذلك لان المسيح ربما خص
بالذكر فتقدم الاستنكاف لدعوى من ادعى فيه
الالهية وكذلك الملائكة وانما ادعت النصارى
الالهية دون ساير الانبيا لامرين احدهما انه لم يكن
من اب والثاني ما ظهر على يديه من خرق العادات

من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والملائكة
ليسوا من اب ولا ام فهم ارجح في المقام الاول والملائكة
اقدر على الاتيان بالامور الغريبة فرجحوا في المقام
الثاني ففي المقامين اللتين ادعت النصارى به الالهية
الملائكة ارجح فيه بهذا الترتيب وان سلم فيه الرجحان
فهو عايد الى ما ذكرنا وذلك لا يقتضي رجحانا في
الفضيلة والا لوجب ان تكون مردة الجن والعفاريت
افضل من المومنين لانهم اقدر على الافعال من المومنين
وايضا فان المسيح ذكره جرى مجرى الدعوى
وذكر الملائكة جرى مجرى الدليل فانهم اقوى
في القدرة على العلم بالمغيبات في اللوح المحفوظ والقدرة
على الاتيان بالعظايم وذكر الدعوى قبل الدليل
واما اية التفضيل كثر فيها الحجاج واحسن ما فيها
ان هذا وان سلم انها تدل على فضل نوع الملائكة على
البشر لا يدل على فضل على الانبياء وهذا هو مدعى

جمهور أهل السنة وأما من قال بتفضيل النوع فأجاب
بأن التفضيل على الكثير فلعله مقيد بالظرف وهو يوم
دعوى كل أناس بإمامهم فإن ذلك اليوم يشقى من
النوع الإنساني كثير ولا يشقى من الملائكة أحد
وأما آية النبأ فقد أجيب عنها بمنع ترجيح الملك
على البشر فيها لأن ابن عباس والحسن وقتادة ذهبوا
إلى أن الروح اسم جنس أريد به أرواح بني آدم
وقيامها في الأجساد بالبعث والنشور ثم بتقدير
أن لا يكون كذلك فلعله إنما سيق على هذا من جهة
أن الدار الآخرة لما كانت دار جزاء قد انقطع فيها
وهم من كان يدعي ملكا ولم يبق إلا الفصل
بين أهل الجنة وأهل النار وكان المتصرف في ذلك
كله موتمرا بأمر الله تعالى هو النوع الملكي يتصرفون
في الفريقين فإذا هذه حاله لا تدل على فضل الملائكة
في ذلك المقام بما ذكر نعم تدل على الفضل

المقام المحمود الذي خص به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
يتعذر أن يدل على الفضل لهم على البشر في الدار
الآخرة فهو كما ذكرنا آخرا في الآية قبلها
وعن الوجه الثاني وأما قول نوح عليه السلام
ولا أقول لكم إني ملك وكذلك أمر الله تعالى
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقول ذلك فلعله
رد على الكفار الذين يعتقدون أن الله لا يرسل
آدميا وأن الله لم ينزل على بشر شيئا وسياق الآية
يدل على أن عدم قوله ذلك لا لأفضلية بل لمعنى
آخر أو قاطع لتعنت الكفار الذين يطلبون من الأنبياء
غير مقدورات البشر بل إنما يكون مقدورا للملائكة
وإنما يطلب غير مقدورهم في المعجزات كافية
فإذا أقيمت المعجزة لم يطلب منهم ما ليس مقدورا
للبشر وأما قول إبليس فلعله اعتقد عظمة الملائكة
بالنسبة إلى البشر كما اعتقد عظمة نفسه بالنسبة

أو قاطع لتعنت الكفار الذين يطلبون من الأنبياء
غير مقدورات البشر بل إنما يكون مقدورا للملائكة
وإنما يطلب غير مقدورهم في المعجزات كافية فإذا
أقيمت المعجزة لم يطلب منهم ما ليس مقدورا للبشر

إلى البشر ولعله أخطأ في رجحانهم فإنه قد أخطأ
في رجحان نفسه ۝ وأما آدم وحوى عليهما السلام
فإنهما لم يظهر منهما اعتقاد ذلك وإبليس ما وثق
منهما بالاعتقاد ولذلك ردد كلامه فقال
إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ولعل
آدم وزوجه أكلا للخلود لا للملكية ولم يقرر
الله إبليس على قوله بل قال تعالى فدلاهما بغرور
وأما قول النسوة فإنهن لم يقلن ذلك في الأفضلية
التي نحن بصددها بل ذكروا ذلك بالنسبة إلى الحسن
والجمال وقد انطبع في النفوس [افراط] حسن الملائكة
كما وقع في النفوس قبح رؤس الشياطين وإن لم يشاهد
ذلك ولا يتمسك بقولهن في رجحان فيما نحن بسبيله
فلا وجه له ولا في قولهم كريم فإن ذلك ليس على
الحقيقة بل هو تعظيم على الوجه الذي ذكرناه ۝
والجواب عن الوجه الثالث أن القرب بالعندية

ليس المراد به المكان تعالى الله تعالى بل لعل المراد
به الاختصاص لا في الأفضلية التي نحن بسبيلها بل يراد
بها كونهم منصب للأوامر والتصرف في ملكوت
السموات والأرض أحد من ذلك من غير واسطة
من غيرهم بخلاف البشر وأما عدم استنكافهم
فهو دال على رجحانهم على من استكبر ۝
وأما عدم فتورهم فإنهم جبلوا عليه فهو لهم
كالنفس للآدميين ولعل ثواب الآدميين
على فعلهم القليل أكثر من ذلك كثير كما يشير
إليه الحديث الآتي في الثلاثة الذين يحبهم الله وهم
المصدق والتالي والمجاهد وأما جعلهم رسلا فلا
نسلم أن المراد بالرسالة الرسالة التي تفضل بها
البشر بعضهم على بعض فإن ذلك مختص بملائكة
مخصوصة كما يختص بها بشر مخصوص وهم المصطفون
من الجنس كما قال تعالى الله يصطفي من الملائكة

رسلا ومن الناس واما الوسا له بعدها فلم يقم
دليل على ترجيح بها واما جعلهم حفظة فلا يدل
على تفضيلهم على البشر وكفى بنفس الادمي عليه شهيدا
بل ربما ذكروه في الاخرة باعماله تذكر هو واثر
واما ابطال الجوارح بالاعمال فان الايمان به واجب
وهي مغنية عن عدول **والجواب عن الوجه**
الرابع ان التقدمة في الذكر في الشفاعة لا يعين
الافضلية بل لعله الى الشافع او لكونهم يشفعون
في غير جنسهم بحسن وقوع ذلك منهم واما الملائكة
ولا نسلم ان المراد به الملائكة خاصة فلعل
ذكر الله تعالى له يكون في الدار الاخرة مع الملائكة
والادميين **والجواب** عن الوجه الخامس
ان اللحاق بهم في التقوى لا يوجب مساواتهم
في الفضل بجواز ان يكون في الفضل بالقليل من فعلهم
اكثر من الفضل بالكثير من قول الملائكة فهذه

زبد ما ذكره اهل السنة او يحيل لهم والانصاف
ان الدخول في هذه المسئلة من الزوايا التي ليست مهمة
في الدين ولا فيها ما يثلج لهم القلوب سلام الله على عباده
الصالحين وحشرنا في زمرتهم امين رب العالمين

المقدمة الثانية في فضل عمر رضي الله عنه
بعد ابي بكر رضي الله عنه على بقية الصحابة وهذا
ايضا باجماع اهل السنة وخالف فيه الشيعة واكثر
المعتزلة والسبب لمخالفتهم في عمر رضي الله عنه هو
السبب في مخالفتهم في ابي بكر وقد تقدم ذلك
على احسن وجه ولسنا نذكر في الادلة ما يدل
على تفضيله فقط فان ذلك كثير بل ما يدل على
افضليته وبيان ذلك من وجوه احدها مدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وما يجري مجرى
المدح **الثاني** رؤياه صلى الله عليه وسلم الدالة
على رجحانه رضي الله عنه **الثالث** ما ورد من محبته

اياه الرابع ما عامله به صلى الله عليه وسلم دالا على
رجحانه رضي الله عنه الخامس ما ظهر من الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين دالا على افضليته رضي الله عنه
السادس ما ظهر من افعاله دالا على افضليته
ثم نتبع ذلك بتتمة فيما ثنا اهل البيت اشارة الى
ما تقدم وما جا عن الكتب القديمة من الثناء عليه
رضي الله عنه الوجه الاول مدح رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياه وما جرى مجرى المدح فمن ذلك
ما رواه الترمذي باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل
الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم
الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهما وانعما
قال حديث حسن ورواه ابو داود عنه ولفظه ان
الرجل من اهل عليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة
بوجهه كانه كوكب دري قال وهكذا جا في

الحديث دري مرفوع الهمزة وان ابا بكر وعمر
منهما وانعما ومن ذلك ما رواه الترمذي
باسناده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي
لكان عمر بن الخطاب قال حديث حسن ومن ذلك
ما رواه ايضا عن جابر رضي الله عنه قال قال عمر لابي بكر
يا خير الناس فقال ابو بكر اما انك قلت ذلك
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
طلعت الشمس على رجل خير من عمر وروى ابو داود
باسناده عن عمر رضي الله عنه قال استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن لي
وقال لا تنسنا يا اخي من دعائك او قال اشركنا
يا اخي في دعائك قال عمر كلمة ما يسرني ان لي
بها الدنيا ومن ذلك ما روى الترمذي باسناده
عن بريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في

بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جويرية سوداء فقالت
إني كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك
بالدف وأتغنى فقال لها إن كنت نذرت فاضربي
وإلا فلا فقالت نذرت فجعلت تضرب بالدف فدخل
أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل
عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت
استها وقعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إني كنت جالسا
وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي أبو بكر
تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف وجلست
عليه ۝ وزاد رزين أنها غنت ۝

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ومن ذلك ۝ ما روي أيضا بإسناده عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإذا حبشية تزفن والصبيان
حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت
لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝
فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال
أما شبعت أما شبعت قال فجعلت أقول لا لأنظر
منزلتي عنده إذ طلع عمر قالت فارفض الناس عنها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأنظر
إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر قالت
فرجعت قال حديث حسن صحيح **ومن ذلك**
ما روى الشيخان بإسنادهما عن سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه قال استأذن عمر على رسول الله وعنده صلى الله عليه وسلم
نسوة من قريش يكلمنه وفي رواية يسألنه ويستكثرنه
عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر قمن
يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم

فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك
فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي وأمي
قال الحميدي زاد البرقاني ما أضحكك ثم اتفقا
قال عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن
صوتك ابتدرن الحجاب قال عمر فأنت يا رسول الله
أحق أن يهبن ثم قال عمر أي عدوات أنفسهن أتهبنني
ولا تهبن رسول الله قلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيه يا ابن الخطاب
والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا
إلا سلك فجا غير فجك **ومن ذلك** ما روى الترمذي
بإسناده عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر
وعمر ورواته كلهم ساداة ثقات لكن فيه سفين بن
عيينة وهو مدلس وأتى بلفظ عن الترمذي قال حديث
حسن فلعله ثبت عنده الاتصال وفي كلام الترمذي

60

ما يمكن حمله على الاتصال ٥ وروى أيضا بإسناده
عن حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إني لا أدري بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من
بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر ٥ وفي إسناده
سالم المرادي ضعفه يحيى بن معين ٥ **ومن ذلك**
ما روى الترمذي بإسناده عن علي بن أبي طالب وأنس
رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لأبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة من
الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين زاد علي رضي
الله عنه قال لا تخبرهما يا علي وفي إسناده من حديث أنس
قتادة وهو مدلس وأتى بلفظ عن ومن حديث علي رضي الله عنه
الوليد بن محمد الموقري أبو بشر ضعيف الحديث ٥
والموقر حصن بالبلقا **ومن ذلك** ما رواه أيضا
بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم ودخل المسجد

وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله
وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة
في إسناده سعيد بن مسلمة قال الترمذي ليس بالقوي
عندهم وأقول أما جرح يحيى بن معين سعيدا ههنا
فليس بشيء فإنه قال كان عنده كتاب عن منصور فقال
له رجل أنت سمعت هذا من منصور قال حتى يجيء ابنه
فأسأله ومثل هذا لا يجرح به باتفاق الفقهاء فإنه
لو فرض أنه يسأل ولده فمن قال أنه حدث به اعتمادا
على قول ولده أو حدث به بالكلية وللمحدثين من ذلك
عجائب **ومن ذلك** ما رواه بإسناده عن عبد الله
ابن حنطب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر
وعمر فقال هذان السمع والبصر قال هذا مرسل
عبد الله بن حنطب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال
وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأقول قد ذكر
بعضهم صحبته وقال ابن عبد البر إنه صحبة

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي بإسنادهما
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا له وزيران من أهل
السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من
أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي
من أهل الأرض فأبو بكر وعمر قال الترمذي
حديث حسن **ومن ذلك** ما رواه الترمذي
بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه
الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع يحشرون
معي ثم أنتظر أهل مكة ثم أحشر بين الحرمين
في إسناده عاصم بن عمر العمري قال الترمذي
ليس بالحافظ **الوجه الثاني** رواه صلى الله عليه وسلم
الدالة على رجحان عمر رضي الله عنه **ومن ذلك**
ما روى الشيخان بإسنادهما عن أبي سعيد رضي

الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بينا انا نايم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص
فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ٥
وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره قال
فما اولته يا رسول الله قال الدين ومن ذلك ما رواه
باسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نايم
اتيت بقدح فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج
من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر بن الخطاب
قال من حوله بما اولت ذلك يا رسول الله قال
العلم ومن ذلك ما رواه ايضا باسنادهما عن
ابي هريرة رضي الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بينا انا نايم رايتني على قليب عليها
دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع
بها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له.

ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا
من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن وبقرب
من ذلك ما رواه الترمذي باسناده عن ابي بكرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات
يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا رأيت كأن
ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابا بكر فرجحت
انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر
ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا
الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حديث حسن صحيح ٥ الوجه الثالث ما ورد في محبته
ايا الله عليه وسلم اياه فمن ذلك ما روى الشيخان ٥ صلى
باسنادهما عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال
فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة فقلت
من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا

وقد تقدم في المسئلة الاولى **ومن ذلك** ما روى
الترمذي باسناده عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة
رضي الله عنها اي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ابو بكر
قلت ثم من قالت عمر الحديث **الوجه الرابع** معاملته
اياه بما يدل على افضليته وذلك بانه يكون بذكره
له صلى الله عليه وسلم مقدما على غيره ما خلا ابا بكر
فمن ذلك ما روى الترمذي باسناده عن رباح
ابن الحرث قال كنت قاعدا عند فلان في الكوفة في
المسجد وعنده اهل الكوفة فجا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
فرحب به وحياه واقعده عند رجله على السرير فجا رجل
من اهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله وسب
وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل قال يسب
عليا فقال لا ارى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول واني لغني ان اقول
عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدا اذا لقيته ابو بكر في
الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة
وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة
وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة بن الجراح
في الجنة وسكت عن العاشر قالوا ومن هو العاشر
قال سعيد بن زيد يعني نفسه الحديث **ومن ذلك**
ما رواه باسناده عن عبد الرحمن بن عوف قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر في الجنة وعمر
في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة
والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد
في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة وروى هذا
الحديث من وجه مرسلا وحديث سعيد بن زيد اصح
من هذا **ومن ذلك** ما رواه الترمذي باسناده عن
علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة
وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله ۝ رحم الله عمر
يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وما له من صديق
رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة ۝ رحم الله عليا
اللهم أدر الحق معه حيث دار في إسناده المختار بن نافع
وهو منكر الحديث ۝ ومن ذلك ما رواه الترمذي
بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم
في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرأهم لكتاب
الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا ألا وإن
أمين هذه الأمة عبيدة بن الجراح قال حديث صحيح ۝
ومن ذلك ما روى الترمذي بإسناده عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة

ابن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل ثابت بن
قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو
ابن الجموح ومما عامله به صلى الله عليه وسلم بين البقية
ولأبي بكر كما رواه الترمذي بإسناده عن أنس رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج
على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فلا يرفع أحد
منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه
وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما خاصة وإلى
سائر أصحابه عامة في إسناده الحكم بن عطية وفيه كلام
الوجه الخامس ما ظهر من الصحابة رضي الله عنهم د الأملي
أفضليته ۝ فمن ذلك ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية
رضي الله عنه قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال
عمر ۝ وخشيت أن أقول ثم من فيقول عثمان فقلت ثم أنت
قال ما أنا إلا رجل من المسلمين ومن ذلك ما رواه

الشيخان باسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
اني لواقف في قوم يدعون الله لعمر وقد وضع عمر على
سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع
وانا فيهم فلم يرعني الا رجل اخذ بمنكبي وفي رواية
اذا رجل من خلفي وقد وضع مرفقه على منكبي فاذا
علي فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان
القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك
الله مع صاحبيك لاني كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت
انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو او لاظن ان
يجعلك الله معهما ومن ذلك ما روى مسلم في صحيحه
عن ابن ابي مليكة قال سمعت عائشة رضي الله عنها
وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا
لو استخلف قالت ابو بكر فقيل لها ثم من بعد ابي بكر
قالت عمر قيل لها ثم من بعد ابي بكر ابو عبيدة بن الجراح

ثم انتهت الى هذا ومن ذلك اشارة عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي عمر بدل ابي بكر رضي الله عنهما
وقد تقدم ذلك ومن ذلك ما روى البخاري
باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر ومن ذلك ما رواه ايضا
باسناده عن المسور قال لما طعن عمر جعل يألم فقال
له ابن عباس وكانه يجزعه يا امير المؤمنين ولا كل ذلك
لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنت صحبته
ثم فارقك وهو عنك راض ثم صحبت ابا بكر فاحسنت
صحبته ثم فارقك وهو عنك راض ثم صحبت المسلمين
فاحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك
راضون قال اما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضاه فذلك من من الله به علي واما
ما ترى من جزعي فهو من اجلك ومن اجل اصحابك
والله لو ان لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من عذاب

الله قبل ان اراده ومن ذلك ما رواه ايضا باسناده
عن اسلم قال سالني ابن عمر عن بعض شانه يعني عمر
فاخبرته فقال ما رايت قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حين قبض كان اجد واجود حتى انتهى من عمر ۝
الوجه الخامس ۝ في افعاله اما ايمانه فيكفي به ما رواه
الترمذي باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام باحب
هذين الرجلين اليك بابي جهل او بعمر بن الخطاب
قال فكان احبهما اليه ۝ وفي روايته عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اعز الاسلام بابي جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب
فاصبح فغدا عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
في سند الاول خارجة بن عبد الله الانصاري وفيه خلاف
بين المحدثين وليس حديثه بذلك الواهي ۝ وفي سند
الثاني النضر بن عمر وثقه يحيى بن معين وابن نمير وابو زرعة

وغيرهم وقال الترمذي هو يروي مناكير من قبل حفظه
وقياس صنيعهم ان يكون الحديث هذا دعا قبله حسنا فكان
اسلامه بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعز الاسلام
وتمنيا على ربه عز وجل ثم كان الاسلام به عزيزا
وكذلك المسلمون فجهر باسلامه وجهر المسلمون
باسلامهم كما تقدم من حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وكما رواه ابن اسحق قال حدثني مسعر بن
كدام عن سعد بن ابرهيم قال قال عبد الله بن مسعود
ان اسلام عمر رضي الله عنه كان فتحا وان هجرته كانت
نصرا وان امارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصل
عند الكعبة حتى اسلم عمر رضي الله عنه فلما اسلم
عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه
فكان استفتاح ايمانه الجهاد على اعلان كلمة الله
تعالى واقامة الصلوة التي هي ثانية الايمان وحورب

على إسلامه وجارب وقد روى ابن إسحق عن نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال أي قريش
انقل للحديث قيل له جميل بن معمر الجمحي قال فغدا عليه
قال عبد الله بن عمر وغدوت أتبع أثره وأنظر ما
يفعل وأنا غلام أعقل كلما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت
يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم
قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر
واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته
يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن
ابن الخطاب قد صبا قال يقول عمر من خلفه كذب
ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا
عبده ورسوله وثاروا إليه فما برحوا يقاتلونه ويقاتلهم
حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال وطلح فقعد
وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم ٥
فأحلف بالله لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها

لكم أو تركتموها لنا قال فبينا هو على ذلك إذ أقبل
شيخ من قريش عليه حلة حبرة وثوب موشى حتى وقف
عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل
اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن
كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا عن الرجل فوالله
لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لأبي بعد
أن هاجر إلى المدينة يا أبه من الرجل الذي زجر الناس
عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك قال أي بني
ذاك العاص بن وائل السهمي زاد ابن هشام في
روايته عن غير ابن إسحق وهم يقاتلونك جزاه الله
خيرا قال يا بني ذاك العاص بن وائل السهمي لا جزاه
الله خيرا ٥ وعن عمر رضي الله عنه قال لما أسلمت
تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره
أني قد أسلمت تذكرت قلت أبو جهل بن هشام

وكان عمر رضي الله عنه لحنتمة بنت هشام بن المغيرة
قال فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه قال
فخرج أبو جهل فقال مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك
قال جئت أخبرك أني قد آمنت بالله تعالى وبرسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقت بما جاء به
قال فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح
ما جئت به فانظر إلى هذا الاستفتاح بالمجاهرة
والمحاربة وقصد غيظ الكافرين ومعاندي النبي
صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لعظم موقعه
في القلوب فإنه كان شريفا في قريش في الجاهلية
وكانت إليه السفارة في الجاهلية وذلك
أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بينهم
وبين غيرهم بعثوه سفيرا وإن نافرهم منافر أو فاخرهم
مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا ورضوا به وأما
دوام استقامته فلم يفتنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

شيء من مشاهده وأما قوة إيمانه في الدوام فيكفي
فيه ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما راع
في غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى
استنقذها منه فالتفت إليه الذئب فقال من لها
يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس
سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإني
أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر
وليس في مسلم وما ثم أبو بكر وعمر ه ومن ذلك
ما روياه عنه أيضا قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال صلي
بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت
إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث فقال الناس سبحان
الله بقرة تكلم فقال فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر
وعمر وما هما ثم فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قوة ايمانهما وثباتهما ما يحكم صلى الله عليه وسلم
بقوته على ايمانهما بكلما بقوله صلى الله عليه وسلم
وان استبعده ۞ واما هجرته فكما قال علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه ما علمت ان احدا من المهاجرين قف
هاجر الا مختفيا الا عمر رضي الله عنه فانه لما هم
بالهجرة تقلد سيفه وسلك قوسه وانتضا في يده
اسهما واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملأ
من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكنا
ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم شاهت
الوجوه لا رغم الله الا هذه المعاطس من اراد ان
تثكله امه او يوتم ولده او يرمل زوجته فليلقني
وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه
احد الا قوم من المستضعفين علمهم وارشدهم
ثم مضى لوجهه ۞ واما حفظ الدين وقوته في
دين الله تعالى فقد علم من ذلك فما كاد

ان يبلغ التواتر وقد تقدم من حديث الترمذي عن علي
من انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عمر ۞
يقول الحق وان كان مرا ما ترك الحق له من
صديق ۞ واما سداده فيما ياتيه وموافقته للحق
فيه فقد روى الترمذي باسناده عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال
وقال ابن عمر ما نزل بالناس امر قط فقالوا فيه
وقال عمر فيه او قال ابن الخطاب شك خارجة
الا نزل فيه القرآن على نحو قول عمر ۞ وروى
ابو داود عن ابي ذر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله وضع
الحق على لسان عمر يقول به ۞ وروى الشيخان
باسنادهما عن ابن عمر وانس رضي الله عنهم
ان عمر رضي الله عنه قال وافقت ربي في ثلاث

قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابرهيم مصلى
فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ۝ وقلت
يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر
فلو امرتهن فاحتجبن فنزلت اية الحجاب ۝ واجتمع
نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى
ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن
فنزلت كذلك ۝ وفي رواية ابن عمر قال قال
عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابرهيم وفي
الحجاب واسارى بدر واقول نزل القرآن
بموافقته في الاربعة ۝ وفي تحريم الخمر وقال
علي رضي الله عنه ما كنا نبعد ان السكينة
تنطق على لسان عمر وقلبه ۝ وقال حذيفة
كان علم الناس كلهم كان قد دس في حجر مع علم
عمر ۝ وقال ابن مسعود لو وضع علم احيا العرب
في كفة ميزان ووضع علم عمر رجح علم عمر ۝

ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة اعشار العلم
ولمجلس كنت اجلسه من عمر اوثق في نفسي من
عمل سنة ۝ وعن ابرهيم النخعي قال اول من ولى
ابو بكر شيا من امور المسلمين عمر بن الخطاب ولاه
القضا فكان اول قاض في الاسلام ۝ وقال
اقض بين الناس فاني في شغل ۝ واما قيامه في امر
خلافة ابي بكر رضي الله عنه فهو الذي اعتنقها
بيده وقام فيها حتى جمع الله تعالى اشتات
القلوب ثم كان وزيره المضطلع باعباء خلافته
الى ان توفي وهو راض عنه ۝ كما توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض كما سبق
ذلك من حديث بن عباس رضي الله عنهما ۝ واستخلفه
ابو بكر رضي الله عنه على الامة ودفع اليه
العهد مختوما وهو لا يعرف ما فيه ۝ فلما
عرف ما فيه رجع اليه حزينا كهيئة الثكلى

وقال حملتني عبئاً لا أضطلع به وأوردتني مورداً
لا أدري كيف الصدر عنه فقال له الصديق
ما آثرتك بها ولكني آثرتها بك وما قصدت مسائتك
ولكني رجوت إدخال السرور على قلوب المؤمنين
بك ۝ ومن ههنا أخذ الحطيئة مدح عمر ۝
فقال ۝
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها
الإثر
ونقل عباس بن الرومي هذا المعنى في النسيب
فقال
وأحسن من حلي المليحة جيدها وأحسن من سربالها المتجرد
وقال خلد القسري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
من تكن الخلافة زينته فأنت زينتها ومن تكن
شرفته فأنت شرفتها ۝ وأنت كما قال ۝
وتزيدين أطيب الطيب طيباً أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك
زينا
فقال عمر بن عبد العزيز أعطي صاحبكم مقولاً ولم
يعط معقولاً ۝ فانظر كيف حسن هذا المدح من
الصديق لأنه صادف محله ومع مصادفته المحل
قصد به التحقيق ولم يقصد به التملق ولم يحسن
من القسري فإنه وإن صادف المحل فإنما قصد
به التملق فضاهى شهادة المنافقين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة ثم لما استخلف
كان فتوجه أجل من أن يحتاج إلى ذكره ههنا
وهو أول من دون الدواوين وأول من أرخ
التاريخ بالهجرة الموجود اليوم ۝ وقحط الناس
في زمانه فجاء رجل إلى قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم
قد هلكوا قال فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم

في منامه فقال ائت عمر فمره أن يستسقي بالناس
فإنهم سيسقون وقل له عليك الكيس الكيس
فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى وقال يا رب ما آلو
إلا ما عجزت عنه يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه
وكان أنزل نفسه في مال الله منزلة رجل من
المسلمين فلما قحط الناس عام الرمادة أتى الناس
بنفسه عناية بأمورهم فلما سال بطحان وادي الله
بالحيا خرج بالناس يحمد الله على السقيا فناداه
أعرابي أما والله يا ابن حنتمة لقد أسفرت عنك
وأنت ابن حرة فقال اعبر إلي فعبر فقال إنه لبس
مالي ولا مال أبي إنما هو فيهم رددته فيهم
وذكر ابن خيثمة بإسناده عن عطاء قال هم عمر
رضي الله عنه أن يكتب السنة كما كتب القرآن
فاستخار الله تعالى شهرا ثم عزم أن لا يفعل
ذلك رحمه الله ه وناهيك أن خلافته لم تنفضحها

قربها من خلافة الصديق كما أن خلافة الصديق وخلافته
لم تنفضحها قرب النبوة **تتمة** ه في ثناء أهل البيت
عليه قد تقدم ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية
من قول علي رضي الله عنه أنه خير الناس بعد أبي بكر
وتقدم قوله ما كنا نبعد أن السكينة تنطق
على لسان عمر وتقدم ثناء أهل البيت عليه رضي
الله عنه مع أبي بكر الصديق ما أغنى عن إعادته
وروى ابن السمعاني في الذيل أن رجلا زار الشريف
المرتضى وهو في السياق فوجده قد أدار وجهه
نحو الحائط وهو يقول إماما عدل وليا فعدلا
أأقول كفرا بعد أن أسلما ثم خرجت فسمعت الواعية
وأما ما جاء عن الكتب القديمة فكثير من أحسنها وأقواها
ما في سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال بعثني عمر إلى الأسقف بإيليا فدعوته
فقال له عمر هل تجدني في الكتاب قال نعم قال

كيف تجدني قال أجدك قرنا فرفع عليه الدرة قال
قرن مه قال قرن حديد أمين شديد قال فكيف تجد
الذي بعدي قال خليفة صالحا غير أنه يؤثر أقاربه
قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد
الذي بعده قال جرب صدا حديد قال فرفع عمر يده على
رأسه وقال يا دفراه يا دفراه فقال يا أمير المؤمنين إنه
خليفة صالح يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول
والدم مهراق وعن زيد بن أسلم أنه قال أخبرنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال خرجت مع قومي في تجارة إلى الشام فلما أخرجنا
إلى مكة نسيت قضاء حاجة فرجعت فقلت لأصحابي الحقكم
فوالله إني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد جاء فأخذ
بعنقي فذهبت أنازعه فأدخلني في كنيسة فإذا تراب
متراكب بعضه على بعض فدفع إلي مجرفة وفأسا وزنبيلا
وقال انقل هذا التراب فجلست أتذكر في أمري كيف أصنع
فأتى في الهاجرة وقال لم أرك أخرجت شيئا وضم أصابعه ثم

ضرب بها وسط رأسي فقلت ثكلتك أمك يا عمر وبلغت ما أرى
فقمت بالمجرفة فضربت بها هامته فإذا دماغه قد انتثر فأخذته
ثم واريته تحت التراب ثم خرجت على وجهي ما أدري أين أسلك
فمشيت بقية يومي وليلتي حتى أصبحت ثم انتهيت إلى دير
فاستظللت في ظله فخرج إلي رجل من أهل الدير فقال
يا عبد الله ما يجلسك ههنا فقلت ضللت عن أصحابي قال
مطلب
ما أنت على الطريق وإنك لتنظر بعين خائف ادخل فأصب من
الطعام واسترح ثم فدخلت فجاءني بطعام وشراب ولطف
فصوب في البصر وخفضه ثم قال يا هذا قد علم أهل الكتاب
أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم مني بالكتاب وإني أجد
صفتك صفة الذي يخرجنا من هذا الدير ويغلب على هذه البلدة
فقلت له أيها الرجل قد ذهبت في غير مذهب قال ما اسمك
قلت عمر بن الخطاب قال أنت والله صاحبنا غير شك فاكتب لي
على ديري وما فيه قلت أيها الرجل قد صنعت معروفا فلا
تكدره فقال اكتب لي كتابا في رق ليس عليك فيه شيء فإن

تكن صاحبنا فهو ما نريد وإن تكن الأخرى فليس يضرك قلت
هات فكتبت له ثم ختمت عليه فدعا بنفقة فدفعها إلي
وبأثواب وبأتان قد أوكفت فقال ألا تسمع قلت نعم قال
اخرج عليها فإنها لا تمر بأهل دير إلا علفوها وسقوها
حتى إذا بلغت ما منك فاضرب وجهها مدبرة فإنها لا تمر
بقوم ولا أهل دير إلا علفوها وسقوها حتى تصير إلي ۝
فركبت فلم أمر بقوم إلا علفوها وسقوها حتى أدركت
أصحابي متوجهين إلى الحجاز ضربت وجهها مدبرة ثم
سرت معهم فلما قدم عمر الشام في خلافته أتاه ذلك
الراهب وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب فلما
رآه عمر تعجب منه فقال أوف لي بشرطي فقال عمر
ليس لعمر ولا لابن عمر فيه شيء ولكن عندك للمسلمين
فيه منفعة فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره
فقال له عمر إن أضفتم المسلمين وهديتموهم إلى الطريق
ومرضتم المريض فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين

فوفى له بشرطه ۝ **المقدمة الثالثة** ۝ في ذكر عثمان
وعلي رضي الله عنهما ولست أذكر من أفعالهما إلا القليل
لئلا يخاض في ذلك إلى كلام في السلف مما هم عنه برآء
فنقول استقر بين أهل السنة من زمن الإمام أحمد بن حنبل
رضي الله عنه أن عثمان أفضل من علي رضي الله عنهما ونقل
عن بعض أهل السنة من أهل الكوفة تفضيل علي على عثمان
رضي الله عنهما ونقل عن مالك بن أنس ويحيى بن سعيد القطان
رضي الله عنهما أنهما توقفا في ذلك ولم يقولا بتفضيل
أحدهما على الآخر ۝ وفي المدونة سئل مالك رضي
الله عنه أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر
ثم قال أوفي ذلك شك ۝ فقيل له فعلي وعثمان ۝
فقال ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على
صاحبه ويرى الكف عن ذلك وقد قال جماعة من جلة
العلماء والفقهاء هذا وكفى منهم أبو المعالي إمام الحرمين
سيد الشافعية على الإطلاق فقال أبو بكر ثم عمر ثم يتخالج

الظنون في عثمان وعلي رضي الله عنهما وحكى لي شيخي ووالدي
رحمه الله عن شيخه ابي محمد عبد العزيز بن عبد السلام
رحمه الله تعالى انه حكى خلافا في تفضيل احدهما على الاخر
وان شيخه كان يقول عثمان كان احسن سياسة للامة
وعلي كان اعلم . وروي عن يحيى بن معين رحمه الله انه
كان يقول من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف
لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة . ومن قال
ابو بكر وعمر وعلي وعثمان وعرف لعثمان سابقته وفضله
فهو صاحب سنة . وقال هارون بن اسحق فذكرت له
هولاء الذين يقولون ابو بكر وعمر وعثمان ثم يسكتون عن
الباقين فتكلم فيهم بكلام غليظ . وكان جماعة يحتجون
الى الاستدلال على فضل عثمان على علي رضي الله عنهما باجماع
الامة على خلافته وقالوا لو كان مفضولا لفوتت الامة
مصلحة الفاضل فكانت مخطية ولا يجوز اجماع الامة
على الخطاء واقول بتقدير صحة كل ذلك فلا يلزم الفضل

بالنسبة الى الخلافة الفضل بالنسبة الى التفضيل الذي
نحن بصدده وهذه مسلة قد طال ذكرها وصنف فيها
جماعة منهم ابن ابي خيثمة . وبالجملة فالذي استقر عليه
قرار اهل السنة اخرا رجحان عثمان على علي رضي الله
عنهما في الفضيلة واستندوا الى ابتداء النبي صلى الله
عليه وسلم بذكره وتقديم ذكره على علي كما تقدم
في فضايل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والى ما تقدم
من حديث البخاري وهو ما رواه باسناده عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ونسكت
عن الباقين وقد تقدم ذلك بطرقه في الوجه الرابع
في المسلة الاولى . وان قول الراوي كنا نقول او كنا
نفعل يدل على انه قول جميعهم او فعل جميعهم . وقد روى
الترمذي باسناده عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق

ورفيقي في الجنة عثمان وهذا من أبلغ دليل في هذه المسألة
التي نحن بصددها فإن المطلوب منها علو الدرجة عند الله تعالى
لكن قال الترمذي ليس إسناده بالقوي وهو منقطع
وأما الأمة فقد أجمعت على أنه كان إمامًا مهديًا وأما أنه قتل
مظلومًا فقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة
وبالجنة مرارًا بأحاديث صحيحة الإسناد ترتفع عن درجة
خبر الواحد ولو ذكرنا ما نقم عليه أعداؤه وما أجابهم
به وما أجابت العلماء عنه لدخلنا فيما خرجنا عنه خيفة منه
ويكفي في ذلك ما رواه البخاري عن عثمان بن عبد الله بن
موهب قال جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قومًا
جلوسًا فقال من هؤلاء القوم فقال هؤلاء قريش قال
فمن الشيخ منهم قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر إني
سائلك عن شيء فأخبرني هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد
قال نعم قال تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم
قال تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال

نعم قال الله أكبر ۝ قال ابن عمر تعال أبين لك أما
فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ۝ وأما تغيبه
يوم بدر كان تحته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لك لأجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ۝ وأما تغيبه
عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من
عثمان لبعثه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد
عثمان فضرب بها على يده وقال هذه لعثمان ثم قال
ابن عمر اذهب بها الآن معك ۝ وروي أن أبا بكر الصديق
رضي الله عنه دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال
أخبرني عن عمر ابن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر
إلا وأنت أعلم به مني ثم قال عمر أفضل والله من رأيك
فيه ۝ ثم دعا عثمان فسأله عن عمر فقال اللهم علمي

فيه ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله فقال
ابو بكر لو تركته ما عدوتك الحديث ۞ وفي هذا اكبر
شرف اذا كان الصديق يجعله ثاني عمر في الخلافة
واما من ذهب الى التصريح بتفضيل عثمان رضي الله عنه والى
السكوت عن تفضيل علي رضي الله عنه فلا تختلف اهل
السنة ان عليا افضل من باقي الصحابة الاحيا بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير الثلاثة الراشدين ۞ وهذا
ايضا مما تسكن النفس الى القطع به وفي صحيح مسلم عن
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان معاوية بن ابي سفين
امر سعدا رضي الله عنه فقال ما منعك ان تسب ابا
تراب قال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلن اسبه لان يكون لي واحدة
منهن احب الي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
له وخلفه في بعض مغازيه فقال علي يا رسول الله خلفتني
مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا
نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا فقال
ادعوا الي عليا فاتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية
اليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا
وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلي ۞ وروى الشيخان
باسنادهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم
خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس
يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها
فقال اين علي بن ابي طالب فقيل هو يا رسول الله يشتكي
عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق في عينيه ودعا
له فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية

قال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال
انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام
وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله عز وجل فوالله
لئن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم ه
وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن زر بن حبيش
قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ
النسمة إنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق
وقال أحمد بن حنبل وإسمعيل بن إسحاق القاضي وأحمد
ابن علي النسوي لم يرو بالأسانيد الحسان في فضيلة
أحد من الصحابة ما روي في فضائل علي رضي الله عنه.
وأما أعداؤه ففريقان أحدهما ه أهل الشام
طعنوا فيه بأنه ما أقام القصاص على قتلة عثمان رضي
الله عنه وهذا لا يقدح فيه فللقصاص شروط لا بد
من ثبوتها عند الإمام فلعله لم يجتمع عنده ثبوت
شرائط الاقتصاص ه وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لعلي على معوية وأهل الشام وهو ما رواه مسلم في
صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر رضي الله عنه
تقتلك الفئة الباغية وروى أيضا بإسناده عن
أبي سعيد قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين
جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول بؤس
ابن سمية تقتلك فئة باغية ه وله في رواية عن
أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتل عمارا الفئة الباغية وكون عساكر الشام
قتلوا عمارا هذا قطعي فلما ثبت أن أصحاب معوية
قتلوا عمارا صدق عليهم أنهم فئة باغية وأن عليا رضي
الله عنه هو المحق ووجه ذلك واضح وهو أن عليا
رضي الله عنه أحق بالإمامة من كل أحد يومئذ
على وجه الأرض وما وقع في ذلك نزاع من معوية

ولا من غيره واجمع اهل العقد والحل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على امامته
فوجب على اهل الشام والعراق وبقية الحجاز وغيرهم
اتباعهم وحرمت عليهم مخالفتهم فامتنع اهل الشام
من بيعته وعملوا على مخالفته فظلموه فاستحقوا اسم
البغي وان كان لهم تاويل وشبهة واما ما نقله
الاخباريون عن معوية رضي الله عنه من انه اجاب
عن قتل عمار بجواب احدهما انه قال لعمرو بن العاص
رضي الله عنه ما زلت تدحض في بولك انما قتله الذي
القاه في رماحنا وسيوفنا والثاني انه قال نحن الباغيه
لدم عثمان رضي الله عنه اما التاويل الاول [illegible]
من القول وضعه الاخباريون وكملوه بان قالوا ان
عمرا قال له فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
قتل حمزة وكل هذا كلام المتشيعين والمتقربين اليهم
ومعوية اجل من ذلك وما اخرج على عمار وانما خرج

قوله انه قال لعمرو الى اخره يعني لما مات عمار
مقتولا شهيدا وجا نعيه لعسكر معاوية
قال عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول لعمار تقتلك
فئة باغية فقال معاوية لعمرو بن العاص
ما زلت تدحض في بولك انما قتله الذي
القاه في رماحنا وسيوفنا يعني عليا
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وعلى
جميع الآل والازواج والصحب امين
وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد امين

عمار ابتغا ما عند الله تعالى وما زال عمار داعيا الى
علي رضي الله عنه في يوم الجمل وغيره وما زال حريصا
مثابرا يحث اصحابه على القتال وقتل معه من اهل بيعة
الرضوان جماعات راغبا بذلك في ثواب الله تعالى
على بصيرة ولقد نقل عن معوية رضي الله عنه انه قال
عند ما جاءه القاتل براسه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشر قاتل ابن سمية بالنار فلما سمع القاتل ذلك قال
بيست البشارة او بيست التحفة واما التاويل الثاني فان
الاستعمال الشرعي ان الفية الباغية هي الخارجة عن
الامام لشبهة وقعت لهم والحمل على الشرعي اولى من
اللغوي وهذا هو الذي فهمه عبد الله بن عمرو بن العاص
والى اهل ذلك الزمان من الصفيين والجمليين والقاعدين
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ساق ذلك في معرض
مدح عمار فلو قتله باغي دم عثمان لم يكن مدحا بل كان
الى الذم اقرب ۵ ثم ان عليا رضي الله عنه كان باغيا

دم عثمان وطلب منه أن ينظروا فيما دخل فيه الناس ويطلب
قتلته ويقيم عليهم كتاب الله فأبى أهل الشام وسبقت
وعظمت المصيبة بشهيد الدار ۞ ولنعلم بعد ذلك
أن كونهم بغاة لا يخرجهم عن الإيمان كما قال تعالى
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما
فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء إلى أمر الله الآية ۞ فسمى الباغي مؤمنا وأما
ما نستدل به على بغاة معوية رضي الله عنه وأهل
الشام مع كونهم بغاة على علي رضي الله عنه وهو
الإمام العدل وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن
أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة
من الناس سيماهم التحاليق قال هم شر الخلق أو
قال من شر الخلق تقتلهم أدنى الطائفتين إلى
الحق الحديث ۞ وفي أخرى قال أبو سعيد وأنتم

قتلتموهم يا أهل العراق ۞ وله عن ابن سعيد في رواية
أخرى أن رسول الله صلى الله عليه يمرق مارق عند
فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق وفي
أخرى تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق فلفظ أولى
وأقرب والى دال على عدم البت في حقهم فإنهم
ليسوا من الحق في شيء بل هو دال على أنهم على حق
لا كحق الفئة القاتلة الخوارج وهذا شأن المجتهد
المخطئ مع المجتهد المصيب فإن المجتهد المصيب أولى
بالحق وأقرب إليه لأنه عمل باجتهاده ووافق ما عند
الله تعالى ۞ وأما المجتهد المخطئ فإنه على حق
لكونه عمل باجتهاده وليس كمثل حق المصيب
الذي وافق ما عند الله تعالى ولذلك كان للمصيب
أجران وللمخطئ أجر واحد ۞ وأما ما رواه
البخاري عن عكرمة قال قال لي ابن عباس
ولابنه انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه

فانطلقا فاذا هو في حايط يصلحه فاخذ رداه
فاحتبى ثم انشا يحدثنا حتى اتى على ذكر بناء المسجد
فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين
فراه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب
عنه ويقول ويح عمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه
الى النار ويقول عمار اعوذ بالله من الفتن وفي رواية
يدعوهم الى الله ووقع في رواية اي الوقت الجمع
بين هذا وبين ذكر الفئة الباغية ولم يوجد
في غير روايته ولكن خرج البرقاني والاسماعيلي
ولفظها ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم
الى الجنة ويدعونه الى النار فان الرواية الاولى
لم يصرح عن هذا الداعي الى النار واما الرواية
الاخيرة فانها مصرحة وقع تصريحها لا يلزم ان تكون
الفئة الباغية في النار ونعوذ بالله من اعتقاد
ذلك ٥ بل الجواب عن ذلك ان عمارا كان

نعلم انهم مخطئون قطعا لا ظنا فلو وافقهم لفعل
ما هو الخطا قطعا ولقاتل عمار من يعلم عمار انه على
الحق وذلك من الكباير واما معوية وعساكر
الشام نحن وان قطعنا بخطاهم على قول بعض اصحابنا
فهم لم يقطعوا بخطا انفسهم لانه اشتهر عندنا
بعد الهدو والسكون ما لو بلغهم لم يقاتلوا عليا
رضي الله عنه وعنهم طرفة عين ولا اعترضوا في
امر الامة ذلك الظن بهم رضي الله عنه وعنهم
ولم يوجد نص دال على بغيهم غير ما ذكر في
حديث عمار ٥ وقد كانت في عساكر الشام
من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلماء
التابعين ممن لا يتهم على الدين ولقد اعتزل
الطايفتين من لا يتهم على الدين ٥ وكفى عساكر
الشام ان تكون فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه وكفى به علما ودينا وورعا ٥ وكفى

ممن يقطع كما قال البعض الآخر

المعتزلين أن يكون فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب
وهو من قد علم دينا وعلما وورعا ۞ وأما ما روي
عنه أنه قال ما آسى على شيء إلا أني لم أقاتل مع
علي الفئة الباغية وفي رواية أنه قال حين حضرته
الوفاة ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئا إلا
أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب فهذا
لا يصح عنه ۞ إسناده لا يحتج به مع أنه منقطع
فإن مداره على حبيب بن أبي ثابت وهو لم يسمع من [ابن عمر]
ولا يصح بوجه ما ۞ وقد صحح بعضهم إسناده عنه
أنه قال ما آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة البا[غية]
ولم يذكر في هذه الرواية مع علي ومع ذلك
قال الدارقطني صح عن حبيب أنه قال بلغني
عن ابن عمر فلا يكون متصلا وأقول في إسناده
سفين وقال عن حبيب وسفين مدلس إذا أتى بلفظ
عن لا يكون متصلا حتى يثبت السماع من طريق آخر

على أنه قد ذكر الحافظ أبو القسم بن عساكر
هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن عمر وقال فيه
عن سعيد بن جبير قال لما احتضر ابن عمر قال
ما آسى على شيء إلا على ثلاث ظمأ الهواجر
ومكابدة الليل وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية
التي نزلت بنا يعني الحجاج **الفرقة الثانية** الخوارج
قالوا حكم الرجال في دين الله تعالى ولا حكم
إلا لله تعالى ثم إن تحكيمه يدل على شكه في
إمامة نفسه ومع الشك قدم على تحمل الإمامة
وإغواء الأمة وهذا خيال فاسد وافتراء.
فإنه لم يرض بالتحكيم لولا ما علم من جنده من الإصرار
على أنه لا بد من التحكيم ۞ وهذا معلوم من الوقائع [الرضى]
لا يمتري فيه أحد وقد شهد له رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم وهو ما رواه الشيخان
بإسنادهما عن أبي سلمة والضحاك الهمداني أن أبا

سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة
وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن
يعدل اذا لم اعدل ۝ وفي رواية قد خبت انه
وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي
فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم
وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز
تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من
الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى اصله
فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى رصافه فلا يوجد
فيه شيء ثم ينظر الى نضيه فلا يوجد فيه شيء
سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود احدى
عضديه وفي رواية احدى عينيه مثل البضعة

تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس ۝
قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب
قاتلهم وانا معه فامر بذلك الرجل فالتمس فوجد
فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي نعت ۝ وفي رواية
لمسلم قال ابو سعيد وانتم قتلتموهم يا اهل
العراق ۝ وفي رواية لابي داود عن انس
قالوا يا رسول الله وما سيماهم قال التحليق
والتسبيد فاذا رأيتموهم فانيموهم وروى
الشيخان باسنادهما عن يسير بن عمرو قال قلت
لسهل بن حنيف هل سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته
يقول واهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام

مروق السهم من الرمية ۞ وفي رواية بينه قوم
قبل المشرق يحلقة رؤسهم ۞ وفي رواية لمسلم
عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن بعدي من أمتي أو سيكون
بعدي من أمتي قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز
حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من
الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقة
تكفي بذلك شاهدا لعلي رضي الله عنه على أهل النهروان
قال الخطابي قد أجمع علما المسلمين على الخوارج على
ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ورأوا مناكحتهم
وحل ذبيحتهم وأجازوا شهادتهم قال وسيل
عنهم علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقيل أكفار
هم قال من الكفر فروا فقيل المنافقون منهم
قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء
يذكرون الله بكرة وأصيلا قيل من هم قال قوم

أصابتهم فتنة فعموا وصموا ۞ قال الخطابي يعني قوله
صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أراد بالدين
الطاعة أي أنهم يخرجون من طاعة الإمام ۞
المفترض الطاعة وينسلخون منها وأقول أما الشافعية
فلهم في الجواز طريقان أحدهما طريقة الإمام
الجليل أبي المعالي إمام الحرمين وتلميذه حجة الإسلام
أبي حامد الغزالي رضي الله عنهما صرحا بكفر الخوارج
على الخلاف المشهور في تكفير أهل الأهواء فإن
كفروا فهؤلاء كفرة وإن لم يكفروا ففي الخوارج
وجهان أحدهما أن شبهتهم كتأويل البغاة
وأصح الوجهين أنهم كأهل الردة ولا يبالي بما يتمسكون
به لظهور فساده ۞ الطريقة الثانية أنهم
لا يكفرون وأما عساكر الشام فلا شك في
أنهم بغاة وأنهم اجتهدوا وأخطأوا وإلى

الله المصير وقد اختلفوا في تأثيمهم بذلك
فالقاضي ابو بكر رآهم غير آثمين وكذلك
أهل الجمل ۵ واما ابو الحسن الكيا فأثمهم
ولو شئت لقلت مقدمتان احدهما اختلف الناس
فيما شجر بين الصحابة من الحروب فقوم انكروا
وقعة صفين والجمل وقالوا ما جرت هذه الحروب
قط وهذا قول سخيف ومن الناس من قال لا
يخاض في شيء شجر بين الصحابة لا بنفي ولا اثبات
ولا نفتش عنه بنفسه وهذا ان اراد بذلك صيانة
نفسه مع توقير جميع الصحابة فنعم الان رأى نفسه
وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه قال تلك دما طهر الله منها سيوفنا فلا
نلوث ألسنتنا بها ۵ واما اذا قال القائل ذلك
ايهاما انه امر عظيم يستحي من ذكره ويستنقصهم

بذلك فلقد أخطأ غاية الخطأ ومن الناس من تكلم
في مولاة قال كل من قاتل عليا رضي الله عنه آثم
مخطئ غير انهم تابوا قبل موتهم ومحا الله
سيئاتهم وتوقف المعتزلة في كل من قاتله مع
ما استقروا عليه من قرار الشهادة احترامهم
الله تعالى ۵ واما اهل السنة فلا يؤثمونهم وفي
الخوارج قد مضى ما ذكرناه

الخاتمة الثانية

اعلم ان هذا السيد العظيم ابن عم الرسول الكريم
قد جعله الله امام هدى ورأس جريدة الفضائل
وذلك اذا قيل من اسلم اولا يقال ابو بكر وخديجة
وزيد وعلي واذا قيل من جمع القرآن يقال
ابو بكر وابن مسعود وعثمان وأبي وعلي واذا
قيل من صلى الى القبلتين يقال ابو بكر وفلان
وفلان وعلي واذا قيل من اعلم الصحابة قيل
ابو بكر وعمر ومعاذ وعلي واذا قيل من اشجع

قيل أبو بكر وعمر وحمزة وسعد والزبير وعلي وإذا
قيل من أزهد الصحابة قيل أبو بكر وأبو ذر وعلي
وإذا قيل من أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل عثمان وأبو العاص بن الربيع وعلي وإذا قيل
من أقرب الصحابة إلى رسول الله قيل العباس
وحمزة وأبو سفيان بن الحرث وعلي ٥
هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبت بماء فصارا
بعد أبوالا

المقدمة الرابعة في ذكر من بقي من الصحابة

على طريق الاختصار ٥ أما الرجحان الذي ذكرناه
لأبي عبيدة بن الجراح فقد تقدم من كلام
عائشة رضي الله عنها في الخلافة لو كان رسول
الله مستخلفا بعد عمر وأما الزبير فقد روى
البخاري عن عروة قال أخبرني مروان بن الحكم
قال أصاب عثمان رعاف شديد سنة الرعاف

حتى حبسه عن الحج وأوصى فدخل عليه رجل من
قريش فقال استخلف قال نعم قال ومن هو فسكت
ودخل عليه رجل آخر فقال استخلفوه فقال
أوقالوه قال نعم قال ومن هو قال فسكت
قال فلعلهم قالوا الزبير قال نعم قال أما
والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان
لأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
وورد في حقه وحق طلحة رضي الله عنهما
ما رواه الترمذي بإسناده عن عقبة بن علقمة
قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول
سمعت أذني من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقول طلحة والزبير جاراي في الجنة ٥
وأما فضيلة أهل بدر فقد روى البخاري عن
رفاعة بن رافع الزرقي وكان من أهل بدر
قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال ما تعدون أهل بدر منكم قال من أفضل المسلمين
أو كلمة نحوها وأما رجحان أهل أحد على من بعدهم
ولسبقهم وقتالهم أول الإسلام وهم أهل بلاء وتمحيص
وورد في حق أهل الشجرة في مسلم عن جابر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار أحد بايع تحت الشجرة وروى الترمذي عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة
من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر ٥
وأما فضل الصحابة على من بعدهم فقد تقدم فيه
الأحاديث الصحيحة منها في الصحيحين عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن
أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه

المقدمة الخامسة

في فضل النسوة
على الإطلاق والفضيلة لواحدة منهن بلا أفضلية
لا فائدة فيها بل المقصود معرفة الفضلى منهن ٥
فنقول قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد
من النساء إن اتقيتن الآية وقد اتقين بأجمعهن
إن شاء الله تعالى لعدالة كل واحدة منهن بإجماع
أهل الحديث والفقه قال الشافعي فأبانهن به
صلى الله عليه وسلم من نساء العالمين قال الرافعي
من الشافعية من أفضل نساء العالمين ٥ وأقول في
الاستدلال بالآية بحث وهو أنها تقتضي أنهن
لسن بأجمعهن كواحدة واحدة من النساء غيرهن
فإن قيل لا رجحان لهن في ذلك بل الرجحان فيما ذكرناه
مع أنه قد سيق في معرض تعظيمهن به صلى الله عليه وسلم
قلنا لا نسلم أنه لا رجحان لهن في كونهن كواحدة
واحدة ~~واحدة~~ من النساء وسنذكر ذلك أنه ربما
رجحت امرأة واحدة طوائف من النساء فقد انسد
هذا الباب في حقهن فلا تكون امرأة من غيرهن

أرجح منهن جميعهن نعم ما ذكر ثمه أكثر رجحانا
ممن ابن لنا ذلك ۞ والذي تقتضيه ملاحن كلام
العرب ان هذا السياق يقتضي رجحان كل واحدة
منهن على كل واحدة من غيرهن وان لم تكن مفردات
الألفاظ تقتضي ذلك وهنا يعكر على أصل الشافعي
رحمه الله في بساط اليمين ان سلم ذلك ثم مقتضى
كلام الشافعي والرافعي ومن تبعه رجحان كل
واحدة من نسائه عليه السلام على فاطمة رضي الله عنها
ولا أعلم احدا صرح بذلك ولا بضده نعم اختلفوا
في فاطمة وعائشة رضي الله عنهما أيهما أفضل
فلو كانت كل واحدة من نسائه افضل من فاطمة
لكفوا مؤونة الخلاف واما الاية فان اقتضت
رجحان كل واحدة على من سواها دخلت فاطمة رضي
الله عنها في العموم اللهم الا ان يقال ان فاطمة
دخلت في النساء المضافين الى النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible]

والاشعري ذهب الى تفضيل
عائشة على سائر النساء بوجوه
الاول بنزول براءتها من الله
تعا فان الله تعالى لم ينزل نصرة احد
من نساء هذه الامة في كتابه غير
عائشة بل لم ينزل في حق غيرها
بالخصوصية شيء وما يروى من
نزول هل اتى في علي وفاطمة وابنيها
رضي الله عنهم باطل موضوع كما ذهب
اليه عامة اهل الحديث والثاني
انها تشاجرت مع فاطمة يوما فقالت
عائشة زوجي افضل من زوجك وقالت فاطمة
ابي خير من ابيك فتحاكما الى النبي عليه الصلاة والسلام
فقال [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم لفاطمة يا بنية تحشرين
مع بعلك وهي تحشر مع بعلها كذا في غاية المرام
في رجال البخاري الى النبي عليه الصلاة والسلام

والعرف يقتضي ذلك اذ يقال نسوة فلان لا
لازواجه وامايه ومحارمه وكذلك اللغة
ويكفي في الاضافة ادنى ملابسة مثل كوكب الخرقاء
ولما مات معوية رضي الله عنه رثي بابيات
اختلف في قائلها ۞ ومنها ۞
رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
فانك لو سمعت بكا هند ورملة اذ يصكان الخدودا
مع ان هند بنت ابي سفين لم تكن مزوجة باحد من آل
حرب بل كانت مزوجة بعبد الله بن عامر بن كريز
فدل على ان نسوة الرجل تدخل فيهن وكذا ازواجه ۞
ويقوى دخول فاطمة اخر الاية وهي قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا فان فاطمة مرادة من هذا ففي صحيح
مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعليه كسا مرط من جل أسود
فجا الحسن فادخله ثم جا الحسين فادخله ثم جات
فاطمة فادخلها ثم جا علي فادخله ثم قال انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا على انه قد يكون هنا استينافا كلام اخر
والدليل عليه ان ازواجه داخلات في نسايه
وكذا داخلات في اهل بيته فظهر ان ذلك كلام
مستانف عن الاول ف الكلام في افضلية فاطمة رضي الله عنها
الكلام فيها بالنسبة الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
غير عايشة وخديجة رضي الله عنهما وعن سايرهن ق.
فنقول ان لم تدخل فاطمة رضي الله عنها في لفظ
النساء وكانت الاية دالة على رجحان كل واحدة منهن
فثنايه عليه السلام على كل واحدة من النساء غيرهن
فلا بد من مخصص وذلك المخصص هو ما رواه الترمذي
باسناده عن حذيفة رضي الله عنه قال سالتني امي

متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما لي به من
عهد منذ كذا وكذا فنالت مني فقلت لها دعيني
آت النبي صلى الله عليه وسلم فاصلي معه ~~معه~~ المغرب
واسأله ان يستغفر لي ولك فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فصليت معه المغرب حتى صلى العشا فانفتل فتبعته
فسمع صوتي فقال من هذا حذيفة قلت نعم قال ما
حاجتك غفر الله لك ولامك ان هذا ملك لم ينزل الى
الارض قط قبل هذه الليلة استاذن ربه ان يسلم
علي ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة
وان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة قال
هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه
الا من حديث اسرايل واقول هذا الحديث لا غبار
على سنده متصل بنقل العدل الضابط عن العدل
الضابط واسرايل بن يونس يقول ضابط وهو من
رجال الصحيحين وباقي رجال الحديث رجال

البخاري وحينئذ تخصص عموم الآية بهذا الخبر
من تخصيص الكتاب عن خبر الواحد مطلقا وفي الصحيحين
واللفظ لمسلم عن عائشة في شكوى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وساق الحديث الى قوله يا فاطمة
اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة وانك
اول اهلي لحوقا بي فضحكت واذا ثبت ذلك فنقول
المستقر ان مريم افضل نساء العالمين ثم فاطمة ثم
خديجة ثم آسية وكذلك رواه موسى بن عقبة عن
كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم
ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ورجحان مريم بقوله
تعالى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين وقد اختلف في
نبوتها ورجح جماعات نبوتها واليه اميل لما في
القرآن من الوحي اليها كما هو الوحي الى الانبيا

غير الرسل وهو جامع لما بين الاحاديث وتفضل بعد
الاربعة عائشة بالتصريح وفي الصحيحين عن انس
وابي موسى رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على ساير الطعام ٥ ثم ترجح الباقيات منهن على غيرهن
ذكرناه ثم ترجح الصحابيات على الاجمال ثم ترجح
من كان من آل ابرهيم على من سواه بكلام اجمالي
خاتمة في تفضيل زوجاته بعضهن على بعض او
فاطمة عليهن ٥ قال صاحب التتمة الاولى ان لا
يشتغل العاقل بمثل ذلك فان طريق التفضيل
الاجماع وكذلك ابو الحسن الكيا رحمه الله
منع من تفضيل بعض النساء على بعض ومن تفضيل فاطمة
عليهن وبالعكس قال لان طريقه قطعي ومستنده الخبر
المتواتر او العقل وهما منتفيان وكثير من الاصوليين
والفروعيين يقولون ما لم يتعلق بعمل فلا بد فيه من

القطع وهذا ممنوع بل ما يطلب فيه العلم فلا بد من القطع
وأما ما لا يتعلق به عمل ولا علم فلا بأس بالظن فيه وهو
حاصل ما أخبار الآحاد ۝ **المقدمة السادسة**
في فضل من سوى الآدميين ۝ أما ترجيح جبريل على ميكائيل
عليهما السلام فاستنبطوه من كون جبريل رسولا
دون ميكائيل وبتقديمه في الآية بالذكر ۝
وبقوله تعالى إنه لقول رسول أمين ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم أمين على قول من يقول
إن هذه الآية أنزلت في جبريل عليه وهو قول
جمهور أهل التأويل وبقول الواحد من الإجماع عليه
وقال بعضهم إنه محمد صلى الله عليه وسلم واستدل
به الإمام فخر الدين على فضيلة جبريل على ميكائيل بأنه
مطاع ثمّ وإذا كان مطاعا وجب أن يطيعه ميكائيل
والمطاع أفضل من المطيع وهذا كله في غاية البعد
فإن الوصف بكونه مطاعا لا يعم في حق كل واحد

واحد من المأمورين ثم بتقدير ذلك من أين يعلم أنه
يأمر ميكائيل وبتقدير أن يطيعه فلم يكون
تابعا في غير ذلك الأمر ۝ **وأما الجن** ۝ فأفضلهم
جن نصيبين الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولنقدم على ذلك مقدمة وهو أن الجن هل لهم
ثواب أم لا فنقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسل إلى الجن بإجماع ۝ وأما غيره فقال مقاتل
لم يرسل رسول إلى الإنس والجن غير رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم مكلفون بإجماع وسورة
الرحمن مخاطبة للإنس والجن وفيها سنفرغ لكم أيها
الثقلان إلى غير ذلك مثل قوله تعالى يا معشر الجن
والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات
والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي
آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران ثم كل قوله تعالى فبأي

الآء ربكما تكذبان خطاب للثقلين وروى
الترمذي باسناده عن جابر رضي الله عنه قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها
فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة فكانوا
احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله
فبأي الآء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من
نعمك ربنا نكذب لك الحمد ۝ في اسناده
زهير بن محمد والراوي عنه الوليد بن مسلم وزهير
الذي يروي عن الشاميين ضعيف والوليد بن مسلم
دمشقي واما سماع الجن الوافدين القران فقد بينه
الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الجن وفي
آيات من الاحقاف ومن قوله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن الآيات ۝ واما خطابهم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ففي صحيح مسلم عن علقمة قال

قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد
ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية
والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر
ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل
حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك
فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني
داعي الجن فذهبت معه فقرأت القران عليهم
قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم
وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم
الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما
وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام
اخوانكم ۝ وله في رواية اخرى قال الشعبي

وكانوا من جن الجزيرة ۞ واذا ثبت انهم مكلفون
فهم معاقبون باتفاق وفي سورة الرحمن ما يدل على
ذلك من استحق العقاب واما المؤمن الطايع
فهل يثاب ام لا قال جماعة لا ثواب للجن ونحن في
هذا القول الى الامام ابي حنيفة والليث بن سعد
رضي الله عنهما وقالوا ثوابهم نجاتهم من النار
واستندوا الى قوله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي
الله وامنوا به يغفر لكم ذنوبكم ويجركم
من عذاب اليم فجعلوا غاية مقصودهم الخلاص من
العذاب وهذا لا حجة فيه وذهب جماعة الى ان
المطيع فيهم مثاب كما العاصي منهم معاقب ۞
والى ذلك ذهب الامام مالك وابن ابي ليلى
ويقال ان احدهما ناظر ابا حنيفة في هذه المسألة
وهذا هو اختيار الضحاك وجماعات من المفسرين
وقال الامام فخر الدين الدلايل الدالة على ثواب

الانس دالة على ثواب الجن وفيما قاله نظر ومن قال
يثابون قال بعضهم يكونون في الجنة وقال اخرون
يكونون في ارباضها واما الجن الوافدون على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد صح في مسلم عن الشعبي
انهم من جن الجزيرة وقال ابن اسحق هم فيما ذكر
من جن نصيبين قال ابو القسم السهيلي ونصيبين
مدينة بالشام اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
روي انه قال رفعت الى نصيبين حتى رايتها ۞
فدعوت الله ان يعذب نهرها وينظر شجرها
ويكثر مطرها وما صنع السهيلي في ذلك شيا
فانه ليس بالشام موضع يعرف بنصيبين ولو كان
فكيف يصنع بما في صحيح مسلم واما الحديث
الذي رواه من دعايه عليه السلام لبلدة نصيبين
فحديث موضوع لا اصل له وذكر بعضهم ان
الوفد كانوا يهودا وقالوا لذلك قالوا انزل

[illegible]

من بعد موسى وقد ذكر انهم كانوا سبعة
وقد وقعت اسماهم في التفاسير والمسندات
قالوا هم شاصر وماصر ومنشي وناشي ۝
والاحقب وهولاء الخمسة ذكرهم ابن دريد
وذكر الحافظ ابو علي الغساني في فضايل عمر بن
عبد العزيز بينما عمر يمشي بارض فلاة اذا حية
ميتة فكفنها بفضلة من رداية ودفنها فاذا
قايل يقول يا سرق اشهد لسمعت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بارض
فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال
من انت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين
سمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبق منهم الا انا وسرق قد مات ۝ وعن
ابن مسعود رضي الله عنه انه كان في نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع

لهم اعصار ثم جا اعصار اعظم منه ثم انقشع
فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى رداية فشقه
وكفن الحية ببعضه ثم دفنها فلما جن الليل
اذا امرأتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر
فقلنا ما ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم
الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع
المومنين منهم فقتل عمرو وهو الحية التي رايتم
وهو من النفر الذين استمعوا القران من محمد صلى
الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين ۝
وهذا الاثر يرويه ابو اسحق السبيعي عن اشياخه
عن ابن مسعود واشياخه مجهولون ولا كبير
غرض يتعلق لنا باسمايهم وعددهم وقد كثر
الاختلاف في اعدادهم بل نحن نجزم بان في
الجن مومنين ونجزم ان منهم من استمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم الاحاديث الدالة على

فضل الصحابة من الآدميين لا يدل على فضل النفر
من الجن فإنها اشتملت على لفظ أصحابي ولفظ الناس
وكل ذلك لا يظهر دخول الجن الوافدين إليه
عليه السلام فيه لكن نجزم أن اجتماعهم به عليه الصلوة و
السلام وإنذارهم قومهم وتعليمه إياهم الصلوة و
يوجب لهم رجحانا لاشتراكهم في ذلك
مع الإنس في تحصيل الفضيلة والمصلحة وإن كانوا
لم يوازروه عليه [الصلوة] والسلام ولم ينصروه فيما نقل إلينا
ولا نقل سرورهم بنصر المسلمين في أيامه عليه السلام
نعم اشتهر سرورهم وثبوته في أقطار الأرض
بفتح القادسية وأثنوا على أحياء العرب في قرارات
دارها ومدحت كل طائفة في دارها ذكر
ذلك سيف بن عمر ولا نقل لهم اجتماع برسول
الله صلى الله عليه وسلم في غير ليلة الجن نعم
قد أسند عن جابر رضي الله عنه قال بينا أنا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءت حية فقامت
إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدنت فاها
من أذنه وكأنها تناجيه أو نحو هذا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته
فأخبرني أنه رجل من الجن وقال مر أمتك أن لا يستنجوا
بالروث ولا بالرمة فإن الله جعل لنا ذلك رزقا
المقدمة السابعة ۝ قد ثبت رجحان أصحابه
على من بعدهم من الأمة وثبت رجحان الأمة على
سائر الأمم ومع ذلك لا نرجح أحدا من الصحابة
على واحد معين من الأمم الباقية إلا بدليل خاص
هذا هو الصواب وإن كان صنيع المتقدمين
خلاف ذلك مما لعله سيأتي وهو خطأ إذ لا
يلزم من رجحان المجموع رجحان الأفراد وكذلك
إذا رجحنا الأنبياء عليهم السلام على الملائكة أو
بالعكس لا يلزم رجحان ملك خاص على نبي خاص

أو بالعكس إلا بدليل خاص. أما إذا رجحنا البشر
على الملائكة فنحن جازمون قطعا أن كل ملك
فإنه أرجح من الكفار. نعم يشك الذهن في المؤمنين
العصاة إذا لم يقم دليل على عصمة الملائكة كلها
غير الرسل وهذا قد طال فيه النزاع وعظم فيه
الشغب فلا بد من دليل في إثبات ملك معين غير
الرسل على عاص من المؤمنين ويتردد النظر
أيضا في العاصي من المؤمنين مع الرسل من الملائكة
ولا أجد مساغا فيما يذكر من جميع ذلك
إلى قوي ظني فضلا عن قطع وقد اشتهر بين أئمة الأصول
أن كل ما لا يتعلق به عمل لا يكفي فيه الظن بل لا بد
من القطع وهذا ليس فيه تحقيق بل ما طلب فيه
العلم فلا بد من القطع به ولا يكفي الظن وما لم يطلب
فيه فيظن ويؤخذ فيه بالأولى وإن لم يتعلق به عمل
المقدمة الثامنة قد ذكرنا الأفضلية

وما المراد بها وكيف الوصول إليها أما علو
الدرجة المطلوب في هذه المسألة ففي هذا علو على
طلب الفضيلة وبعد منزع ويكون درك هذا
أصعب أما من الأفعال الظاهرة فربما وقع القرب
بالفعل القليل أكثر من الكثير وقد قدمنا ذلك
عن القاضي عياض رحمه الله وقدمنا تمثيله بالإيمان
والفكر والذكر والثواب عليهم وأما أخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم بالأفضلية هل يكون
ذلك متعلقا في هذه المسألة هذا ينبني على أصل
ذكره ابن الصباغ في كتابه في أصول الفقه
الموسوم بعدة العالم في فصول أفعاله عليه
السلام فقال واختلف في حكمه عليه السلام
بأن زيدا أفضل من عمرو وهل هو على سبيل القطع
أو على سبيل الظاهر من الناس من قال إنه على
سبيل الظاهر لأن ظاهر ذلك أنه حكم بوجود

فعله ۞ ومنهم من قال هو على سبيل القطع
لأنه خبر فقطع بصدقه فيه وكذلك إذا
نسب بهنا إلى عمرو وهل ذلك على سبيل القطع
أو على الظاهر على ما مضى ۞ وأقول كلما كان
من ذلك يتعلق بأمر شرعي فإنه يحمل على ما هو
عليه في الشرع إن كانت الواقعة مما يعول فيها
على الظاهر وأجري الأحكام الشرعية على
ظواهرها ويكون ذلك مراده عليه السلام
بما قال فيها فإذا قال هو لك يا فلان في محاكمة
فإنه يحمل على الظاهر سواء إن كان ذلك في مال
أو نسب ۞ وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها
قالت اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة
في غلام فقال سعد هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة
ابن أبي وقاص عهد إلي أنه ابنه انظر إلى شبهه
وقال عبد بن زمعة هو أخي ولد على فراش أبي من

وليدته فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى شبهه ~~فرأى شبها بينا~~ فرأى شبها بينا بعتبة
فقال هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش
وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة
وفي البخاري وليس بمتصل زيادة هو لك هو أخوك
يا عبد بن زمعة فقوله صلى الله عليه وسلم هو لك
هو أخوك ليس هو في نفس الأمر ولا أنه خلق من
ماء زمعة قطعا ولكن هو حوالة على الفراش
الذي هو سبب ظاهر يحال عليه في الشرع
وفي الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع ضجة خصم بباب
حجرته فخرج إليهم فقال إنما أنا بشر وإنه يأتيني
الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض ۞
فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق
مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو يذرها

فقد صرح صلى الله عليه وسلم بما يقع منه من الاحكام
هو جواله على الظاهر ومن هذا الباب ما
اذا وقع التفضيل في امر شرعي مرتب عليه
حكم شرعي فانه لا يلزم ان يكون في الباطن
كذلك واما اذا لم يكن في ذلك المعرض
ففي مثل هذا يكون خبرا فينبغي ان يكون في
الباطن واما نحو قوله عن فاطمة انها سيدة نساء
اهل الجنة فهذا متعين في الباطن وكذلك
عن ابي بكر وعمر انهما سيدا كهول اهل
الجنة فهذه اخر المقدمات وهذا اوان
الشروع في المقاصد فنقول اعلى الخلق
درجة عند الله تعالى في الدار الآخرة من الثقلين
محمد صلى الله عليه وسلم بالاجماع وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم

يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول
شافع واول مشفع وفي الترمذي بعد لفظ
الارض فاكسى الحلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش فليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري قال حديث حسن وروى مسلم
في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على
الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض
طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة
وختم بي النبيون وروى ايضا عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب
الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول قد امرت ان لا افتح لاحد قبلك
وروى الترمذي باسناده عن العباس بن عبد المطلب

قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا
احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في
كبوة من الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خير من فيهم
وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير
قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم
فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا قال حديث حسن
وروى ايضا باسناده عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
قال حديث حسن ٥ وروى ايضا باسناده عن
ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد

ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت
لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر ٥
قال حديث حسن واحاديث الشفاعة والحشر
ادل دليل على ذلك وهذه ايضا متواترة بمعنى واما
تفضيله صلى الله عليه وسلم على الملائكة فهي مبنية
على المقدمة الاولى ٥ فان قيل ان من بني ادم
من يترجح على جميع الملائكة فلا شك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولى الادميين بذلك ٢
ولا يبعد اذا قيل انه صلى الله عليه وسلم لو جمعت
الانبياء عليهم السلام في صعيد وكان هو في صعيد
ان ينفتح من هذا مسلك الى انه صلى الله عليه وسلم
يكون افضل من جميع الملائكة بتقدير ان
يكونوا كلهم في صعيد واحد ٥ واما اذا قلنا
قلنا ان الملائكة افضل من البشر بمعنى ان الجنس
افضل من الجنس فلا يبعد ان يكون واحد من البشر

افضل من كل واحد واحد من الملائكة فان وقع
ذلك فهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيره ترجيح له على كل مخلوق
واما بعده صلى الله عليه وسلم فهي عيسى وموسى
وابرهيم ونوح وادم فقد وقع بين العلماء في موسى
وعيسى وابرهيم وادم خلاف مع اتفاقهم على انهم
مع نوح وادم افضل من الباقين وقوله تعالى
ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم ~~وآل ابرهيم~~
على العالمين ما يدل على ذلك في غير ابرهيم عليه السلام
فانه ليس من آل نفسه وان قيل فيكون هو بطريق
الاولى منع ذلك نعم في صحيح مسلم عن انس قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك ابرهيم وفي هذا بحث كنا احلنا عليه في
استدلال من فضل الصالحين على الملائكة ولا بد

100

من ايضاحه كذلك وبالجواز عنه بالبشر الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنقول البرية تهمز ولا تهمز
وقرا بهمزها نافع وابن عامر وقرا باقي السبعة بدون
همز واختلف في اشتقاقها فقيل من البرا وهو
التراب فعلى هذا لا يهمز قال بعضهم هذا الاشتقاق
يوجب ان يكون همزها خطا لكن همزها ليس بخطاء
فالاشتقاق خطا وقيل هي من برا الله الخلق بالهمز
اي اوجدهم بعد العدم فعلى هذا يهمز وقد ترك
همزها تسهيلا كما ترك في النبي والذرية والخابية
وان كانت من خبات الشي وفي هذا الحديث
اشكال فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم وما تواتر وقطع به من وجوه ومن
جملتها الاجماع على رجحانه عليه الصلوة و السلام على كل ادمي
وقد اجيب عن هذا الاشكال بوجهين احدهما
انه قال صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا مع اشرف

ابائه عليه وعليهم السلام كما قال صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم
ولد ادم على ربي يوم القيامة ولا فخر وقد اورد
عليه سؤالان احدهما ان التواضع لا يبيح الاخبار
بخلاف الواقع فاذا لم يكن ابرهيم خير البرية كيف
يجوز الاخبار بانه خيرها وقد اجيب عن ذلك
ان التواضع في منع اطلاق اللفظ في حقه عليه السلام
وان كان في حقه حقيقة تواضعا وجوز اطلاقها
في حق ابرهيم عليه السلام وان كان مجازا لانه عام
مخصوص به عليه السلام ويكون المجاز به معلوما
اما للاستقراء ذلك عندهم رضي الله عنهم كما
هو مستقر عندنا واما ان تكون القرينة تأخرت من باب
تأخير البيان في المجازيات لان اعتقاد ذلك غير محرم
في ذلك الوقت **الوجه الثاني** ۞ لعله صلى الله عليه وسلم
قال ذلك قبل علمه بمنزلته صلى الله عليه وسلم ثم علم

منزلة نفسه فاخبر بها فقال انا سيد ولد ادم يوم
القيامة ولا فخر قالوا ولذلك كان يسال في اول
امره ان يبلغ درجة ابرهيم من الصلاة عليه والرحمة
والبركة والخلة ثم بعد ذلك اخبر ان الله اتخذه
خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا ثم بعد ذلك زاده
الله من فضله وشرفه وكرمه وفضله على جميع خلقه
وقد اورد على ذلك بانه خبر عن امر وجودي ۞
والاخبار عن الامر الوجودي لا يدخله النسخ
واجيب بتقدير تسليم منع دخول النسخ على الخبر بالامر
الوجودي بان الذي منع ورود النسخ عليه هو منع
اطلاق اللفظ فابيح بعد المنع وهذا نسخ حكم
لا نسخ خبر وهذا واضح وبتقدير ان يكون الطاري
طرا على الامر المعنوي لم يلزم النسخ المذكور بل هو
يدل في امر وضعي ومثل ذلك بان رجلا اكرم
رجلا مما اكرم به غيره فصح ان يقال انه مكرم

عنده فاذا اكرمه اكثر من غيره صح ان يقال انه مفضل
عنده بقيد فاذا اكرمه بما لم يكرم به احدا صح
ان يقال افضل عنده مطلقا فصاحب هذا القول
يقول انه صلى الله عليه زايد كل وقت حتى نال مراتب
لم تك له قبل والاول اعجب الي من هذا وهذا الحديث
يقتضي رجحان ابرهيم عليه السلام على كل مخلوق او كل
ادمي غير النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من معتمدات
من رجح ابرهيم عليه السلام على من سواه ٥ ومن رجح
عيسى فمن مستنداته ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان الا ابن مريم
وامه ثم قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم واني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل بني
ادم يمسه الشيطان يوم يولد الا مريم وابنها قالوا وهذا
عموم كالنص وقوته اقوى درجات العموم لتسويره

بلفظة كل وتصريحه بالاستثناء الدال على ان المطلق
يكون بالة الى ما يدخل ويخرج لا ان اللفظ مرسل
ارسالا قابلا للمجاز باطلاق العام وارادة الخاص
بمقتضى هذا ان يكون الشيطان ناخسا لكل واحد
واحد من الانبياء عليهم السلام ومن الاولياء الا مريم
وابنها عليهما السلام وهذه درجة تقتضي تفضيلا على كل
من سواهما واقول هذه خصوصية لهما دون من
سواهما لا يوجب انهما افضل من غيرهما من كل وجه
بل جاء ذلك استجابة من الله تعالى لحنة جدة عيسى
عليهما السلام والشيطان اذا نخس باقي الانبياء
اعانهم الله تعالى عليه ولقد خص الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان اعانه على الشيطان في ملازمته ٥
فلم يامره الا بخير واسلم قرينه صلى الله عليه وسلم ولم
يسلم قرين عيسى ولا قرين امه ولا قرين غيره من الادميين
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم
في الاولى والآخرة قالوا كيف يا رسول الله قال
الانبياء اخوة علات امهاتهم شتى ودينهم واحد
وليس بيننا نبي فقوله صلى الله عليه وسلم انا اولى اي احق
كما قال صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها
وما بقي فلاولى رجل واقول هذا لا يدل على رجحان
عيسى عليه السلام على بقية الانبياء فان النبي صلى الله
عليه وسلم بين وجه الاحقية بقوله ليس بيننا نبي موقع
التشبيه بينهما صلى الله عليهما من كونهما بقرب
الزمان كانهما في زمن واحد فكانهما من بطن واحد
بخلاف باقي الانبياء فانهم تباعدت ازمانهم من زمن
نبينا عليه السلام فلم يكونوا معه في زمن واحد الصلوة و ٢
فكانهم لم يكونوا من بطن واحد فكانوا ابناء علات
وعرف هذا ان الحواريين ليسوا انبياء وقد قال بعض
الناس كانوا انبياء وانهم ارسلوا الى الناس بعد عيسى عليه

السلام وهو قول اكثر النصارى نعم يفوت
ترجيح عيسى عليه السلام من جهة كون دينه ناسخا لما
لما قبله لم ينسخه غير ديننا وهذا هو المشهور المستفيض
وقال بعض الشافعية لم تنسخ ملة عيسى ملة موسى
عليهما السلام وانما جاءت مخصصة ولذلك قال
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وبنوا على هذا
ان من دخل في دين موسى عليه السلام بعد بعثة عيسى
عليه السلام هل نقره بالجزية ونناكحه ام لا
فعلى قول الجمهور لا يقرون ولا يناكحون وعلى قول
من قال انه لم ينسخ نقره ونناكحه فعلى هذا يكون
دينه دين موسى عليه السلام ان قيل لم ينسخ وعلى
الاخر يكون مستقلا والترجيح انما يظهر على هذا
وهذا القول الذي يشهد له الكتاب والسنة ويكاد ان
يقطع به. وروى الشيخان باسنادهما عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال استب رجل من المسلمين ورجل من

اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين في
قسم يقسم به فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على
العالمين فرفع المسلم يده بلطم اليهودي فذهب اليهودي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الذي كان
من امره وامر المسلم فقال لا تخيروني على موسى فان
الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش
بجانب العرش فلا ادري اكان ممن صعق فافاق او
كان ممن استثنى الله عز وجل وفي رواية فلا ادري
احوسب بصعقته يوم الطور ام بعث قبلي وهذه
فضيلة عظيمة لموسى خص بها دون جميع الانبياء وفي
هذا الحديث اشكالات كثيرة ليس هذا موضع
استيفائها ولعل الله تعالى يحركنا لكتابة شيء في
ايضاحه وتفسيره انه على كل شيء قدير وقال
تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي وهذا مخصوص في حق نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم فليعمل به فيما سواه الا بمخصص
وقد يضحك العاقل اللبيب ويبكيه ان بعض ارباب
الحماقات المنتسبين الى التصوف ذهبوا الى ان
الخضر عليه السلام افضل من موسى صاحب هذا
الاصطفا للفضيلة التي جرت بينهما ونطق بها
القران وقالوا الخضر ليس بنبي وموسى عليهم
السلام رسول الى امة عظيمة كثر فيها اتباعه
وجعلت علماوها انبيا وربما تسلقوا من هذا الى
غيره وقالوا من قال من الامة ان موسى صاحب الخضر
ليس بموسى بن عمران يرد عليه ما في الصحيحين من
حديث سعيد بن جبير رضي الله عنه قال قلت لابن
عباس ان نوف البكالي يزعم ان موسى صاحب بني
اسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر فقال كذب
عدو الله سمعت ابي بن كعب يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قام موسى عليه السلام

خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال
انا اعلم قال فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه
الحديث قالوا واذا انديرت القصة وجد موسى قد اقيم
مع الخضر مقام متعلم ملق مقاليده الى معلم اخذ
بعنان القدرة عليه متسلط على بلوغ مرامه دون
تلميذه وفي ذلك افضل دليل على رجحانه وهذا كلام
من نظر الى هذه القصة وحدها ولم ينظر الى ما اتاه
الله تعالى موسى عليه السلام من الاحوال التي نطق
بها القران والسنة وما خصه به من الرسالة
والكلام والاصطفا والتوراة التي هي تفصيل
كل شيء وان انبيا بني اسرائيل داخلين تحت
رسالته وما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم باخذه
بساق العرش الى غير ذلك بحيث يعلم من ذلك
ان الله تعالى اراد بذلك تاديبه على عدم تفويضه
العلم الى الله تعالى وان كان موسى عليه السلام

ما نال الا حقا ولم يكن على وجه الارض اعلم من
موسى لكن ظهر بذلك ان الله تعالى علوما بل العلوم
كلها يخص الله بها من يشا وفي قصة الخضر اسرار
ليس هذا موضع استيفائها واما نوح عليه السلام
فلم اعلم ان احدا رجحه على موسى وعيسى وابرهيم وان
كان بعضهم قد رجح ادم على الثلاثة صلوات
الله عليهم اجمعين وقد اشتهر بين المفسرين
وكثير من العلماء ان اولي العزم افضل الرسل
وكما ان الرسل افضل من الانبياء فكذلك
اولي العزم افضل الرسل عليهم السلام وهذا
يحتاج الى ايضاح ان اولي العزم هل هم بعض
الرسل او كلهم وان كان البعض فمن هم فقد
اختلفوا فيهم قال اولوا العزم كل الرسل
وقالوا ما ارسل الله رسولا الا وكان ذا عزم وحزم
وعقل منقي من عالم زمانه قد صفاه الله واصطفاه

ومن في قوله تعالى من الرسل لبيان الجنس لا للتبعيض
وهذا القول عليه المحققون من العلماء وارباب
المعاني وحكاه جماعة عن ابن زيد وغيره ومنهم
من قال هم كل الرسل الا يونس عليه السلام ومنهم
من قال هم ثمانية عشر نبيا الرسل المذكورون في
سورة الانعام وعزى هذا الى الحسين بن الفضل
وكون الثمانية عشر رسلا فيه نظر وقال بعضهم
هم اربعة نوح وابرهيم وموسى وعيسى قالوا وقد
سمى الله اولي العزم وامر محمدا ان يكون صابرا
كصبرهم فدل على انه غيرهم وهذا ممنوع اذ يقال
للتميمي اصبر كما صبرت تميم تبجيلا له وحثا له على
الصبر وتنبيها على الموجب الذي يقتضي ان يصبر لاجله
وهذا نوع من البلاغة امر معلوم ٥ وعن ابي العالية
اربعة نوح وابرهيم وهود ومحمد صلى الله عليه وسلم
وعن الحسن ابرهيم وموسى وداود وعيسى ٥ وقال

مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه ٥ وابرهيم
صبر على النار ٥ واسحق صبر على الذبح ٥ ويعقوب
صبر على فقد الولد وذهاب البصر ٥ ويوسف صبر
في البير والسجن ٥ وايوب صبر على الضر ٥
وقيل سمي الذين امروا بالحرب فجاهدوا وكاشفوا
وقيل هم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل
بالشام واشهر انهم اصحاب الرابع الخمسة نوح
وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فان صح ان اولي العزم بعض الرسل فلا وجه لخروجه
صلى الله عليه وسلم من اولي العزم مع ما جاهد صلى
الله عليه ما لا جاهده نبي ولا فتح نبي ما فتحه النبي صلى
الله عليه وسلم ولا هدى الله بنبي ما هدى به واما الاذى
فلا اذى اكثر مما اوذي عليه السلام وفي الحديث
ما اوذي نبي ما اوذيت وهذا صريح في قوة عزمه
فما سوى هذا هدر من القول ٥ اشتمار لما تحرر

في الانبيا عليهم السلام ۞ تحرر ان محمدا اعلى
درجة من جميعهم ۞ وتحرر ان ابرهيم وموسى وعيسى
ونوحا وادم عليهم السلام اعلى من جميعهم ۞
ولم يتحرر رجحان احد منهم على الباقين لكن لم اعلم
ان احدا ارجح نوحا على الباقين فكانه يجمع على عدم
رجحانه عليهم ويختلف في رجحانهم عليه ۞ وتحرر
ان الرسل ارجح من الانبياء ولم يتحرر في الرسل
الباقين رجحانا لبعضهم على بعض لكن من كان من
آل ابرهيم فانه راجح على رسول من غير آل ابرهيم
فيرجح اسمعيل على هود وصالح بالآية الكريمة ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على
العالمين ۞ **استمان في الملائكة عليهم السلام**
ثبت انهم كلهم ذوو درجات علي ورجحوا جبريل
عليه السلام عليهم ولا شك في عظمته بالنسبة
الى جماهيرهم اما الى ميكائيل واسرافيل فلا اجد

لذلك دليلا اجود من تعلق الشرع والملة المحمدية
وهذا يدل على افضليته بالنسبة الى الظاهر ۞
اما بالنسبة الى علو الدرجة فلم اجد شافيا ورجحوا
الملائكة السماوية بالنسبة الى الارضية وذلك
اعلم بذلك لم اجد ما يثلج قلبي له **استمان في الرسل**
والملائكة عليهم السلام ۞ ظهر ظهورا ليس بالقوي
رجحان الادميين على الملائكة لا لادمي معين
لكن في الجملة يتحصل منها ان محمدا صلى الله عليه وسلم
ارجح من الملائكة ويتوقف في غيره فانه لا يبين
ذلك بيانا شافيا ۞ **استمان في الصحابة** رضي
الله عنهم ۞ ظهر انهم ارجح من غيرهم بالعموم والخصوص
وانه لا صحابي الا وهو راجح على كل من ليس بصحابي
وان رجح عن الصحابي بما شا من الانواع فلا يبلغ شيء
درجة صحبته عليه السلام ورجح ابو بكر بالنسبة
الى علو الدرجة في الجنة هو وعمر ولم يقع جزم بانهما

بأنهما أرجح من كل أصحاب محمد فإن الذي سبق في
ذلك مما يحسن الإستناد إليه حديث الترمذي عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الدرجات العلى
ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق
السما وإن أبا بكر وعمر منهما وأنعما وقال
الترمذي حديث حسن . وهذا يدل على أنهما
من أهل الدرجات العلى وما ينفي أن يكون غيرهما
من أهلها فإن كانت الدرجات بالفضائل رجح أبو بكر
ثم عمر ثم عثمان ثم علي ورجحت بقية العشرة من غير تعيين
في الستة الباقية وكان الرجحان على ما تقرر ولا
علم لي بغير ذلك الوجه لكن من أنفق من قبل
الفتح وقاتل أعظم درجة من الذي أنفق من بعد وقاتل
ابستماز في الملائكة مع الصحابة . رضي الله عنهم
لا يتحرر لي رجحان أحد من الصحابة معين على ملك معين

ولا عكس ذلك بل أجوز كل واحد من الأمرين **ابستماز**
في النساء . أرجحهن مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية
إن قيل إن آسية ليست بنبية وإن قيل إنها نبية
رجحت على فاطمة وخديجة لكن لم تصح نبوتها ويظهر
رجحان فاطمة وخديجة عليها بحديث موسى بن عقبة
السابق رضي الله عنهن ويظهر رجحان عائشة بكونها
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه في الجنة
وإن كان للفضل مدخل في رجحان الدرجة فلا شك في
رجحانها في ذلك على سائر أزواجه عليه السلام
وأرجح أزواجه به وبأنفسهن على غيرهن وإن كان للفضل
مدخل فيما نحن بصدده وللترجيح الصحابيات على بقية
نسوة الأمة . **ابستماز في الملائكة** عليهم
السلام مع النسوة كما تقدم لا يتبين لي رجحان إحدى
الطائفتين على الأخرى **ابستماز في بقية الأمة**
التابعون وتابعوهم أرجح من القرون الباقية ولا يتبين

رجحان معين منهم الا اويس القرني ففي صحيح مسلم
عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان خير التابعين رجل يقال له اويس وله
والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم ٥
وما يبعد ان يكون ارجح من كل مسلم غير الصحابة
اذ ارجح التابعين الراجحين نعم يتردد النظر فيه وفي
المهدي عليه السلام ومع ذلك فلا يخلو زمان عن
خير لهذه الامة فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين
وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت انا قد رأينا
اخواننا قالوا اولسنا اخوانك يا رسول الله قال انتم
اصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا كيف
نعرف من لم يأت بعد من امتك يا رسول الله قال
ارايت لو ان رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم

بهم لا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم
يأتون غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض
وليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
اناديهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
سحقا سحقا ٥ وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشد امتي
حبا لي ناسا يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله
وماله ٥ وقد ورد عن ابي عبيدة بن الجراح قال
تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله احد خير منا امنا بك وجاهدنا معك قال نعم قوم
يؤمنون بي ولم يروني ٥ لا اعلم لهذا الحديث حالا
من الصحة والسقم وقد ورد في الابدال والنجباء
والغوث اثار كثيرة لا يتعلق بها كبير مقصود في
غرضنا مع عدم تعين المذكور منهم لنا **استمداد**
في الامة بالنسبة الى الامم ٥ رجحت الامة جميع الامم

[illegible]

ويجوز أن يكون واحد من الأمم أرجح من واحد من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز العكس وقد
نطقت العلما بترجيح أبي بكر الصديق على يوشع
ابن نون إلا أن يكون يوشع نبيا فحينئذ يرجح على
أبي بكر رضي الله عنه باتفاق ونقطع بأن كل نبي من
أنبياء بني إسرائيل أفضل من كل صحابي وكل عالم

استشار في الجن قد تبين الخلاف في أنهم
هل لهم ثواب في الآخرة أم لا والذي يرجح أنهم
يثابون ويبعد أن الكريم الحليم يخلق خلقا أما
للعقاب أو لا لشي وقد قال الله تعالى لم يطمثهن
إنس قبلهم ولا جان وفي هذا رمز إلى أهلية الجن للوطي
في الجنة وعلى كل حال فإن كان لهم درجة عند الله تعالى
فأعلاهم درجة أصحاب محمد عليه السلام منهم الوافدون
عليه وترجيح بعضهم على بعض لم نصل إليه وترجيح تابعهم
على تابعي تابعيهم إن كانوا يموتون قبل خراب الدنيا

غير معلوم إن لم يرد فيه شي ○ **استشار في الأجناس**
الثلاثة ○ لا نقطع بترجيح معين على معين إلا في الأنبياء
ولا في ثبوت رجحان كل ملك على كل مؤمن من الجن
قوي ولكن لا أنسه فهذه نبذة في الترجيح بالنسبة
إلى الدار الآخرة من جمهورها على الظن والعلم عند الله
تعالى وبالجملة فهذه مراتب جعلت لأهلها بالعناية
بشمسة الهداية في سوق الرعاية من حانوت الحماية
يبصرها العزيز فيتطفل والذكي فيتحير ويتخيل ويرى
مراتب تحسر الأبصار والبصائر وتبقى فيها المشاعر

كما قال الشاعر ○

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما
أتعبتك المناظر ○
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه
أنت صابر ○

المسألة الثالثة ○ هل العلما أفضل أم الشهدا

وَلقد كانت هذه المسألة بالنسبة الى التي قبلها
لكون معرفة الفضيلة أسهل من معرفة علو الدرجة
عند الله تعالى ولنقدم على ذلك مقدمات

الأولى ؞ مدار الأحكام على جلب المصالح ودفع
المفاسد والشريعة مدارها على ذلك فكلما
امر به فهو لمصلحة اما في الدنيا او الآخرة او فيهما
وكلما نهى عنه فلمفسدة اما في الدنيا او الآخرة
او فيهما والغالب ان المحرم مفسدته في الدنيا
وقد يحرم الله تعالى ما لا مفسدة فيه تعبدا
كما حرم في الاحرام الصيد واللبس والطيب
او عقوبة للمكلف كما حرم الله تعالى على بني اسرايل
اشيا قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الاية ؞ وقال
تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الاية وقال في اخر الاية ذلك جزيناهم

ببغيهم وانا لصادقون ؞ وتتفاوت
الأعمال والأفضلية بحسب المصالح والمفاسد
فكلما كانت المصلحة أهم كان الحث على
تحصيلها أكثر ومن ثمة تحصيلها افضل
فأكمل المصالح الايمان فعمله افضل الاعمال
وأرذل المفاسد الكفر وعمله أرذل الاعمال
وكلما كان أقرب مصلحة من الايمان كان عمله
أقرب الى عمله وكذلك بالضد ؞ وكذلك
الوسايل تختلف بحسب اختلاف المقاصد
فالوسيلة الى افضل الاعمال أفضل الوسايل
والوسيلة الى الأرذل أرذل الوسايل ؞

المقدمة الثانية ؞ لو شا الله ان يثيب
العاصي ويعاقب الطايع لكان ذلك منه
سبحانه وتعالى عدلا وحسنا لا يسئل عما يفعل
لكن وعد في كتابه العزيز وهو لا يخلف الميعاد

على ان كثيرا من السعادات اذا
امعن النظر و... ...
ولعله يشتمل على ... كما
الكفرن ع

ان الثواب للطايع والعقاب للعاصي وان
الانسان لا يثاب الا على فعله وكذلك لا يعاقب
الا عليه وسوى ان فعل ذلك مباشرة او سببا
قريبا او بعيدا قال الله تعالى انما تجزون ما كنتم
تعملون وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى واما قوله صلى الله عليه وسلم
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث
صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له
فهذا ايضا مما نحن فيه فان العلم من كسبه والصدقة
الجارية من كسبه في وقت المباشرة بالمباشرة
والباقي بالتسبب وولد الرجل من كسبه واذا
اثبت على كسبه فمقدار الثواب ايضا بمشية الله
تعالى ان شا اثاب على القليل كثيرا وان شا بالعكس
لكن وعد ايضا في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى
الله عليه وسلم بانواع من مقادير الثواب فيما

[illegible]

وضح من ذلك ان الفرض اكثر اجرا من النفل اذا
استويا في تحصيل المصلحة فدرهم من الزكاة
افضل من درهم صدقة النفل والحجة الفرض
افضل من حجة النفل ولذلك اوجب الله تعالى على
رسوله صلى الله عليه وسلم اشيا لم يوجبها علينا
والاصل في رجحان الفرض على النفل انه صح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن ربه عز وجل
لن يتقرب الي متقرب بمثل اداء ما افترضت عليه
واما مقدار الرجحان فلا يعلم ولكن قال امام الحرمين
من اصحابنا الشافعية رضي الله عنهم قال بعض علمائنا
يزيد ثواب الفريضة على ثواب النافلة بسبعين
درجة وتمسكوا بما روي عن سلمان الفارسي رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في شهر رمضان من تقرب فيه بخصلة من خصال
الخير كان كمن ادى فريضة ومن ادى فريضة

فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه قال
فقابل النفل فيه بالفرض في غيره وقابل الفرض فيه
بسبعين فريضة في غيره قال فأشعر هذا بزيد الفرض
على النفل بسبعين درجة من طريق الفحوى وأقول
في هذا نظر فإنه إن أنتج فإنما ينتج في نفل رمضان
وفرضه ولا يمكن تكميل ذلك بالقياس ولا بالأصل
الثاني إذ لا مدخل لهما في مثل ذلك ولا بالإجماع
بمعنى أنه لا قائل بالفرق فإنه لو سلم وسلم في مثل هذا
فلعل الواقعة لم يخص فيها عن المستنبط ثم كونه
سبعين درجة ممنوع بل هو تسع وستون درجة
فإن النفل كفرض والفرض كسبعين منها ذلك الفرض

المقدمة الثالثة إذا أمكن الجمع بين
المصالح عدل إليه وإذا تعذر الجمع وأمكن
تحصيل مصلحة وبدل أخرى عدل إليه وهذا كمن
معه ما يكفيه لوضوئه أو غسل نجاسته وهو محتاج

إليهما فيجب عليه أن يستعمله في غسل النجاسة
ويتيمم بدل الوضوء ليكون جامعا بين مصلحتي الطهارتين
ولو استعمله في وضوئه بقيت النجاسة بلا مزيل
لمفسدتها وعند ذلك نقول فرض الكفاية
إذا وجد من يقوم به إذا اشتغل من عليه فرض
العين بفرضه فقد جمع بين المصالح وإن لم يوجد
وازدحم فرض الكفاية وفرض العين وهو الآن
قد صار فرض عين فنرجح ههنا فرض الكفاية
وأما إذا لم يكن كذلك فقد أطلق إمام
الحرمين في كتابه الغياثي قوله فقال الذي أراه
أن القائم بفرض الكفاية أفضل من فرض العين
لأنه لو ترك المتعين اختص هو بالإثم ولو فعله اختص
هو بسقوط الفرض وفرض الكفاية لو تركه أثم
الجميع ولو فعله سقط الفرض عن الجميع ففاعله
ساع في صيانة الأمة عن المأثم ولا يشك في رجحان

من حل محل المسلمين أجمعين في القيام بمهم من
مهمات الدين وهذا الذي قاله يساعده قواعد
من أقواها أن المنفعة المتعدية راجحة على المنفعة
القاصرة ومن جملتها أنه إذا كان له قريب مريض
يعوده غيره فإن له ترك الجمعة إذا كان يندفع
بحضوره ضرر يعتد دفعه من فروض الكفايات
ووافق إمام الحرمين أبو زكريا النووي على قوله
وعندي أن ذلك فيه نظر وأن فرض الكفاية
على ما ذكرته أولا إذا كان قد تعين كان
الأمر على رجحانه والحث عليه أقوى من فرض العين
وإذا كان الأمر متعلقا به وبغيره ويجوز أن
غيره يقوم به فلا يتجه عندي أنه ترك فرض العين
أصلا ولأنه ترك فرض العين أصلا ولأنه إذا
ترك فرض العين لا يكون ملوما وقد قال الغزالي
في الإحياء في كلامه في تفضيل علم الطريق على بقية

العلوم والفطن يعلم أنه لو كان غرضه إذا حق
الأمر في فرض الكفاية تقدم عليه فرض العين
ويؤيد هذا أنا وإن قلنا بأن فرض الكفاية لا
يقاس فرض العين بالجنس خلافا للمعتزلة فإنا نجد
الأصحاب يجعلونه درجة بين فرض العين
والنفل لما رواه يحث ويعصي بتركه إذا تركه
الجميع ورأوه يجوز تركه ولا يعصي بتركه
إذا فعله الغير وشاهد ذلك صور منها
أنه يجمع بين فرض عين من الصلوات ونفل منها
ولا يجمع بين فرض عين منها وهل يجمع بين صلاة
فرض وصلاة فرض كفاية كالصلاة على الجنازة
خلاف ولذلك نظائر **المقدمة الرابعة**
تختلف الأعمال بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص
أما الأحوال فإن الخليفة إذا مات ووجدنا إمامين
مستويين في الاستحقاق وأحدهما أشجع والآخر أعلم

فان كان زمن هرج وسفك دم وجهاد قدمنا
الاشجع وان كان زمن هدو وسكون بالنسبة
الى السيف ولكنه زمن بدع واهواء قدمنا
الاعلم وكذلك الامام فيما يعتمده من صلاح
الرعية يداري في كل وقت ما هم مضطرون
اليه فيملا الثغور رجالا ويشحنها عددا وعددا
ويشحن الامصار بالعلما اذ هي محل اكثر الوقايع
ثم ان البادي بطرقها والوارد اليها اكثر من
الصادر عنها ونجد ذلك من الشريعة في
تاسيسها وبعده وانظر الى الابتدا بالايمان
ثم ايجاب الصلوة ليلة الاسرا ثم الصيام بعد
الهجرة والجهاد حين اضطروا اليه وكانت
لهم شوكة ودار منعة وكانوا اكثر
الناس احتياجا اليه ولذلك قال بعض
الشافعية الجهاد فرض عين في زمنه عليه السلام

فاذا قيل لهم فكان يبعث عليه السلام قوما
ويترك قوما فلو كان فرض عين لبعث الجميع
اجابوا بان القاعدين كانوا مرابطين فان المدينة
اذ ذاك ثغر وكل من حولها عدو لها وليس
من التكاليف اذ ذاك الا قليل كل ذلك
مراعاة للاحوال وتقديما للاهم فالاهم
واما باختلاف الاشخاص فهو كما قال الشافعي
رضي الله عنه في الاحاديث الصحيحة من انه عليه
السلام سئل اي الاعمال افضل فقال ايمان بالله
وفي حديث اخر في الصحيحين اي العمل احب
الى الله قال الصلاة على وقتها وفي حديث اخر
في الصحيحين الايمان بالله والجهاد في سبيل
الله ۝ وجا في حديث فيه فقال استقيموا ولن
تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة ولن
يحافظ على الوضوء الا مومن فراي الشافعي

ان هذه الافضلية بحسب اختلاف احوال
السايل فذو القوة الجهاد وذو العبادة الطلب
وعلى هذا النحو تكون الافضلية لا باعتبار
الفعل بل باعتبار السايل فانهم يسالون ليعملون
المقدمة الخامسة ۝ ما هو العلم المطلوب
في هذه المسئلة وما فايدته **فنقول** لا يمتري
العاقل في ان العلم الذي فرضه الله تعالى افضل
مما لم يفرضه والفرض فرض كفاية وفرض عين
على كل مكلف واختلف الناس فيما هو فرض
عين على كل مسلم على نحو عشرين مذهبا وحاصله
ان ارباب كل فن قالوا هو فننا فمن قايل انه علم
اصول الدين قالوا لان به نعرف ذات الله
وصفاته والنبوة والمعاد وبهذا سعادة الدنيا
والاخرة ۝ وقالت الفقها هو علم الفقه
فبه نعرف الحلال والحرام وبه تحصل التقوى

التي هي اساس النجاة من النار وعلو الدرجات في
الجنة وعنوا بذلك من الفقه ما يعم من الوقايع
لا ما يندر ۝ وقالت ارباب الطريق هو علم
الطريق ۝ ثم اختلف هولاء فقال بعضهم
هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل
وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وافات
النفوس وبمنزلة الملك من لمة الشيطان ۝
وقال ابو طالب المكي هو مباني الاسلام
الخمسة الواردة في الصحيح وهو انه صلى الله
عليه وسلم قال بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان
وحج البيت فقال ابو طالب فالعلم بهذه
وكيفية عملها هو العلم الذي هو فرض
عين ۝ وقال حجة الاسلام وامام المسلمين

وطبيب القلوب ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
الذي ينبغي ان يقطع به كل محصل ولا يستريب فيه
انه علم المعاملة وفسر علم المعاملة بانه ثلاثة
اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ العاقل صحوه
مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادتين
وفهم معناهما ولابد من جزمه بانه لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله ولم يشترط الغزالي
القطع عن دليل بل اكتفى فيه بالتقليد
واستدل عليه بان النبي صلى الله عليه وسلم
اكتفى من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار
من غير تعلم دليل واعلم ان في اكتفا الامام
الغزالي بذلك وفي الاستدلال الذي
استدل به نظر ليس هذا موضعه قال
الامام الغزالي فاذا اتى بالشهادتين فقد
ادى الواجب عليه في ذلك الوقت وكان

فرضه في ذلك الوقت تعلم كلمتي الشهادتين
وفهمهما وليس يلزمه امر اخر بدليل انه لو مات
عقيب ذلك كان مطيعا وليس يجب عليه امر لله تعالى
اخر الا لعارض وذلك العارض اما في الفعل
او الترك او الاعتقاد واما في الفعل فبان
يعيش الى زوال الشمس فحينئذ يجب عليه تعلم
الطهارة والصلوة وفعلهما وهكذا بقية الصلوات
فان عاش الى رمضان وجب عليه تعلم الصوم فان
كان له مال لزمه عند تمام الحول من يوم ملكه
مع اسلامه في ذلك الحول تعلم ما يجب عن ذلك
المال من الزكوة وهكذا تعلم كل فعل هو فرض
عين قال واما الترك فيجب عليه بحسب الحال
فلا يجب على الابكم تعلم ما يحل من الكلام ولا
على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ويجب عليه
تعلم ما كان ملابسا له حالة الاسلام من المحرمات

كما لو كان لابسا الحرير أو جالسا في مكان
مغصوب وجب عليه تعلم ما يقرب وقوعه
كما لو كان في بلد يشربون الخمور ويأكلون
لحم الخنزير فيجب عليه تعلم حرمتهما واما الاعتقادات
واعمال القلوب فتجب بحسب الخواطر فان خطر
له شك في معاني كلمتي الشهادة وجب عليه
تعلم ما يزيل شكه فان لم يخطر له ذلك ومات
قبل ان يعتقد ان كلام الله سبحانه قديم وانه
مرئي وانه ليس محل الحوادث الى غير ذلك
مما يذكر في المعتقدات فقد مات على
الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة
للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر
بالسماع من أهل البلد فان كان في بلد شاع
فيه الكلام وتطابقت فيه البدع فليتعلم ما
يصونه عن الباطل وكذلك لو كان تاجرا في بلد

شاع فيه الربا وجب تعلم ما يدفع الربا قال
الامام الغزالي رحمه الله تعالى وما ذكر
الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك
فهو ايضا حق ولكن في حق من يتصدى لذلك
قال واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك
عن دواعي الشر والريا والحسد فليلزمه ان
يتعلم ما يرى نفسه محتاجة اليه وكذلك
الكبر والعجب واخواتهما وازالة ذلك كله
فرض عين ولا يمكن معرفته الا بمعرفة اسبابه
وحدوده ومعرفة علاماته قال ومما
ينبغي ان يعتنى به انه اذا لم يكن انتقل عن
ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر قال
وكل عبد فهو في مجاري احواله في يومه
وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته
فيلزمه السؤال عن كل ما وقع من النوادر

وتلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على
القرب غالبا فهذا هو العلم الذي هو فرض عين ۝
وأما العلم الذي هو فرض كفاية فالعلوم في
الغرض الذي نحن بصدده غير ما ذكرناه ينقسم
إلى شرعية وغير شرعية والمراد بالشرعية
ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم ولا
يرشد العقل إليه كعلم الحساب ولا التجربة كعلم
الطب ولا السماع كعلم اللغة فهذه ليست
شرعية وإن كان تعلمها من فروض الكفايات
ولو لم يتعلم أهل بلد الطب أثموا وحرجوا ۝
وللغة والحساب مرتبة أخرى وهو أن اللغة
لها دخول في العلوم الشرعية من جهة كونها
تتوقف عليها معرفة شرعيا فإنه لا يستفاد
إلا من القرآن والأخبار وهما واردان بلغة
العرب ونحوها وتصريفها تتوقف معرفة

الشرع على (منه) وأما الحساب فإنه يحتاج إليه في
معرفة الفرائض والوصايا وقسم الغنائم والفيء
وهذه دون مرتبة اللغة والطب أيضا مرتبة
دون ذلك وهو أنه يحتاج إليه في معرفة المرض
المخوف ليخرج الوصية من الثلث وفي معرفة
المرض الذي يبيح استعمال التراب في طهارة
الأحداث والمحرمات في غير الضرورة كلحم
الخنزير والضابط أن كل علم يتوقف عليه مصلحة
من مصالح الدنيا بفوت سببها أمر يضر فواته
فإنه فرض كفاية ۝ وأما العلوم الشرعية فهي
كما ذكرنا أنه التي تعرف من الأنبياء عليهم
السلام ۝ وقد قالت الفقهاء إذا أوصى للعلماء
صرف إلى علماء الشريعة قالوا وهم علماء التفسير
والحديث والفقه قالوا ولا يدخل في هذا
الاسم الذين يسمعون الحديث ولا علم لهم بطرقه

ولا يناً في الرواة ولا بالمتون فان السماع المجرد
ليس بعلم وكذلك لا يدخل فيه المقريون والمعبرون
والادباء والاطباء والمنجمون والحساب والمهندسون
قال الرافعي وهكذا ذكر اكثرهم في
المتكلمين قال وفي التتمة ان الكلام يدخل
في العلوم الشرعية قال الرافعي وهنا قريب
لان اطلاق اسم العلماء في الفقهاء عرف مشهور
لكن لا نعرف في العرف فرقا بين المفسر والمحدث
وبين المتكلم فليدخل الكل او ليخرج الكل
وحكى الامام فخر الدين رحمه الله في كتابه في
فضايل الشافعي رضي الله عنه انه قال لو ان رجلا
اوصى بكتبه من العلم وكان فيها كتب الكلام
لم تدخل تلك الكتب في الوصية لانها ليست من العلم
ولو اوصى لاهل العلم لم يدخل اهل الكلام في
الوصية وذكر الامام فخر الدين ان سبب هنا

الكلام طعن جماعة في الشافعي رضي الله عنه
لعظمة علم الكلام لكونه طريقا الى معرفة الله
تعالى ومعرفة رسله والمعاد وجمهور ادلته
فانما هي في القران العزيز فالطاعن في علم الكلام
ذو نصيب وافر من الخذلان وطعن قوم في علم
الكلام بسبب الشافعي رضي الله عنه لكونه
ذمه قال الامام فخر الدين فالحاصل ان الروايات
دلت على حصول عداوة بين الشافعي وعلم الكلام
فمن اعتقد شرف علم الكلام طعن في الشافعي ره
ومن اعتقد شرف الشافعي ذم علم الكلام قال
واما نحن فنعتقد ان علم الكلام اشرف العلوم
واجلها والشافعي اشرف المجتهدين واجلهم
فلا بد من التوفيق ثم ان الامام ذكر في التوفيق
من احسنها ان علم الكلام كان في ذلك
الزمان كلام اهل البدع والاهواء وهذا صحيح

لم يكن في ذلك الزمان لهم كثر المتكلمين أهل السنة كثـ
ولا تدقيق عبارات بل كان المتولي في ذلك العصر
على هذا الفن هم أهل البدع وعند هذا أقول
من مارس هذا العلم علم مكانته من دين الله تعالى
وعظمته وهو عند ظهور البدع أشد ولا يستغني
أهل نظر عن أن يكون فيهم من يعرف ذلك
وأما الخوض فيه بعد تعلمه ويكون البدع والأهوا
فلا أشك في مرجوحيته بالنسبة لما غيره ٥
وأقول إن الوصايا مدارها على العرف وأما
الحقائق في الأفضلية ولست من الخلاف
الناشي هذا علم الطريق مكانته من دين الله تعالى
ونجاه عبده لا يوازيها شيء من العلوم ولم يجعل
الفقها العاملين داخلين في الوصية للعلما
وإذا تأمل الفطن كلام الإمام الغزالي وجده
مشتملا على أن علم الفقه ماله إلى السياسة وعلم

الكلام ماله إلى الحراسة وأن الصلة بالله تعالى
هو بالعلم بعلم الباطن والعمل به وأن في فضل أبي بكر
وعمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي ذكره هو الحق الذي تثلج له القلوب
ولا يردها عن تصديقه في قول الأجهل أو
رعونة ومن أراد تعرف ذلك فعليه بأول
الإحياء ولم يذكر الفقها من علماء الشريعة
علما أصول الفقه إلا شك في دخولهم
فإنهم يتكلمون في الأحكام الشرعية العملية ثم
لا سبيل إلى معرفة كتاب الله وسنة رسوله
واستثمار الأحكام إلا به وذلك واضح
المقدمة السادسة ٥ الكلام في فايدة
الجهاد والشهادة وما هما ٥ **فنقول**
الجهاد على قسمين جهاد النفس وجهاد الغير
أما جهاد النفس فالأصل فيه ما رواه الترمذي

باسناده عن فضالة بن عبيد فذكر حديثا
آخره وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول المجاهد من جاهد نفسه وقال حديث صحيح
وهذه المجاهدة عند العارفين هي ازالة
درن القلوب وصقال مرآته بزوال الاخباث
التي تحصل فيه والاصدا التي تراكم عليه
بسبب تعلقه بلذات الدنيا فهذه هي
الحجب المانعة في معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته فاذا صقلت بالكف عن الشهوات
واقتدى بالنبي عليه السلام في الاحوال
وانجلت مرآة القلب كانت غنيمة هذا الجهاد
بصلت العزمة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وحكمته في خلق الدنيا والآخرة والوجه
ترجيح الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبي والنبوة
والوحي والملك والشيطان وكيفية معاداة

الشيطان وكيفية ظهور الملك وكيفية
الوحي ومعرفة ملكوت السموات والارض
ومعرفة القلب وكيف تتصادم جنود الملائكة
والشياطين فيه ومعرفة لمة الملك من لمة
الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار
وعذاب القبر والصراط والميزان والحشر
ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه
الكريم الى غير ذلك مما يطول ذكره
قالوا فهذه المجاهدة هي التي جعلها الله تعالى
مقدمة الهداية حيث قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا واقول في قوله
عقيب ذلك وان الله لمع المحسنين مع قوله
صلى الله عليه وسلم وقد سأله جبريل عليه السلام
عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ما يدل
على ان المجاهدين هم المحسنون وعابدوا الله

كأنهم يرونه من اتصف بهذه المجاهدة فهذه
المجاهدة أهم المجاهدات وهي فرض كل مكلف
عينا على الوجه الذي قدمناه في المقدمة قبلها
وإلى عظمة هذه المجاهدة وقعت الإشارة
منه صلى الله عليه وسلم لقوله المجاهد من
جاهد نفسه فأخرجه مخرج قوله أيضا المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده فهذا وإن لم
يفد الحصر فإنه يفيد تعظيم الشأن في المذكور
ثم أفادنا ذلك أن الجهاد يطلق على غير مجاهد
الكفار وأن أبى الفقهاء من إطلاقه إلا على مجاهدتهم
بالسيف للشهرة الحادثة وإلا فهذا الاستعمال
النبوي صريح فيما ذكرناه وكذلك
حديث الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
يستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك

قال نعم قال ففيهما فجاهد فهذا المراد من برهما
وصلتهما وطاعة الله تعالى في حقوقهما وعلى
ذلك جهاد الكفار بالتسبب في شيء ن وأما
جهاد الغير فهو على قسمين جهاد بالدعوة إلى
الدين وجهاد بالسيف ن أما جهاد الدعوة فأما
إلى أصل الإسلام فهو مقدم على قتال الكفار
بالرتبة وهذا الجهاد كان شأن المرسلين كما
أخبر سبحانه وتعالى عن الكفار أنهم قالوا
لنوح صلى الله عليه وسلم يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
فأخبر الله تعالى عنهم أنهم استكثروا جدال
نوح وأنهم طلبوا منه تحقيق الإيعاد وهذا
شأن المنقطع في المناظرة أن يعدل عن موجبها
إلى غيره وقد علم من حال النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك أيضا وقد أمره الله تعالى به فقال

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ومن تتبع سيرته
صلى الله عليه وسلم علم ان الله تعالى لم يفرض عليه
الجهاد الا بعد مدة طويلة حتى يتروى فيها
الذكي القاصد الحق ان يسلم فلما وصل امرهم
الى العناد او من غفلاتهم نزلت حينئذ آية
السيف ۝ وروى النسائي باسناده عن
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال جاهدوا باموالكم وايديكم والسنتكم
رجال هذا الحديث رجال الصحيح ۝ وقد ذكرنا
ان ابا بكر الصديق جاهد بالدعوة الى الدين في
اول الاسلام وحصل باسلامه اسلام من ذكر
ثم فائدة هذا الجهاد اتم الفوائد فان بها تحصل
هداية الشخص الكافر لا قتله ۝ وفي الصحيحين
عن سهل بن سعد رضي الله عنه في حديث خيبر

فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا
قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى
الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله عز وجل
فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا احب اليك
من حمر النعم وهذه المجاهدة مع الكفار بالحجة والقران
مشحون بها من الله تعالى وامر الله بها رسوله وبينها له
واخبر بها عن الرسل ۝ واما مع غير الكفار فهذا
الجهاد يكون من اهل العدل مع اهل البغي ايضا واول
ما يفعل الامام انه يزيل شبههم وقد بعث علي رضي الله
عنه ابن عباس رضي الله عنهما الى الخوارج وناظرهم
وانصرف بجماعة رجعوا عن الباطل بمناظرته وازال
شبههم ثم لما عاندوا قاتلهم علي رضي الله عنه ۝
واما الجهاد بالسيف ۝ وهو الذي يغلب في العرف
استعمال لفظ الجهاد فيه فقط حتى يفهم من لفظ
الجهاد دون الاولين ولو اوصى او وقف على المجاهدين

لم يعرف الا الى الموصوف بهذا الجهاد فقد عظمت
درجته عند الله تعالى والكتاب العزيز مشحون
بفضله والسنة مشحونة بفضله وافضليته وسياتي
من ذلك ما فيه كفاية ان شا الله تعالى ۞ واما فايدته
فاعلم ان الجهاد شرفه شرف الوسايل وفوايده مصالح
ودرء مفاسد اما المصالح فمنها عاجلة وهي اعزاز الدين
ومحق الكافرين وشفا صدور المومنين وتحصيل اموال
الكفار للمسلمين بالغنيمة وارقاق نسايهم واولادهم
ومنها اجلة وهو ما جعله الله تعالى في الدار الاخرة
لمن جاهد في سبيله من الدرجات العلية والمراتب
السنية وقد جعل الله هذه المرتبة للمجاهد غلب او
غلب كما قال تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما ۞ واما درء
المفاسد فان الجهاد سبب لدرء مفسدة عاجلة
واجلة ۞ اما العاجلة فازالة الكفر بمحق الكافرين

بالقتل او باسلامهم الحاقن دماهم في الظاهر فانهم
اذا صاروا مسلمين ظاهرا التزموا شرايع الاسلام
وفهموا وفي الغالب انهم يتفقهون ويسلمون باطنا واما
واما اولادهم وانسالهم فلا يكاد احد منهم يكون
على غير الاسلام الصحيح والعيان يصدقه ۞ ويدرا
مفسدة استيلاء الكفار على الدين حتى يخفوه ۞
واستيلاهم على اموال المسلمين واولادهم واذهاب
الاسلام بقتل المسلمين ۞ واما الشهادة فهي المعنى
الذي به يسمى الشهيد شهيدا فكل من يسمى شهيدا
فالذي استحق له من الاوصاف شهادة ۞ فمن الشهدا
المقتول في سبيل الله واختلف في سبب تسمية شهيد
فقال النضر بن شميل سمي بذلك لحياته فان روحه
شهدت دار السلام وحضرتها وارواح غيرهم
انما تشهدها يوم القيامة ۞ وقال ابن الانباري
لان الله تعالى وملايكته يشهدون له بالجنة

وقيل لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له
من الثواب والكرامة وقيل لأن ملائكة يشهدونه
فيأخذون روحه وقيل لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة
الخير بظاهر حاله وقيل لأن عليه شاهدا يشهد
له يوم القيامة وهو الدم فإنه يبعث يوم القيامة
وأوداجه تشخب دما وقيل لقيامه بشهادة الحق
في أمر الله تعالى حتى قتل فهو فعيل بمعنى فاعل أو
معنى مفعول على اختلاف التأويلات واعلم أن
الشهيد على ثلاثة أقسام أحدها المقتول في حرب الكفار
بسبب من أسباب قتالهم فهذا له حكم الشهداء في
ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا أيضا فإنه لا يغسل
ولا يصلى عليه والثاني شهيد بالنسبة إلى الآخرة
دون الدنيا وهو المبطون والمطعون وصاحب الهدم
والغرق والمرأة تموت في نفاسها والمقتول دون ماله
وغيرهم فهؤلاء وردت أحاديث صحيحة في أنهم

شهداء وليس هذا موضع ذكرها فإن المقصود بالمسألة
إنما هو القسم الأول فهؤلاء يغسلون ويصلى عليهم
فليس لهم أحكام القسم الأول في الدنيا ولهم
ثواب الشهداء في الدار الآخرة ولا يلزم أن يكون
ثوابهم في الآخرة مثل ثواب الأول والثالث
شهيد بالنسبة إلى الدنيا وليس شهيدا بالنسبة
إلى الآخرة وهو من غل في الغنيمة وشبهه مما
وردت فيه الأخبار فإنه وإن كان قد قتل في
حرب الكفار فإن له حكم الشهداء في الدنيا
لا يغسل ولا يصلى عليه وليس له ثواب الشهادة في
غير القتال وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا
غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي
ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له

رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما
نزلنا فقام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله
فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة
يا رسول الله قال كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة
لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر
لم تصبها المقاسم الحديث ۝ واما القسم الاول وهو
المقتول في حرب الكفار الخالص من الغلول فدرجة
الشهادة الحاصلة له هو على ما رواه مسلم عن ابي
موسى الاشعري رضي الله عنه ان رجلا سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في سبيل الله تعالى
فقال الرجل يقاتل غضبا ويقاتل حمية قال فرفع راسه
اليه وما رفع راسه اليه الا انه كان قائما من قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ۝ وروى
ابو داود عن ابي امامة قال جا رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ما له

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شي له فاعادها
ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شي
له ثم قال ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان له
خالصا وابتغي به وجهه ۝ وهذا لا يختص بالشهادة
بل وكذلك العلم وسائر القرب لا يثاب عليه الشخص
اذا قصد به غير الله تعالى ۝ وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل
استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت
فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت
ولكنك قاتلت ليقال جري فقد قيل ثم امر به فسحب
على وجهه حتى القي في النار ۝ ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما
عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات القران فيك
قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات

القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه
حتى ألقي في النار ۝ ورجل وسع الله عليه وأعطاه من
أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت
فيها قال ما تركت من سبيل يحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها
لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد
فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار

المقدمة السابعة ۝ الفضل في اللغة عبارة عن
الزيادة بعد التمام المطلوب يقال هذا أفضل من كذا
إذا تم ذلك الشيء وبقي ذلك الزائد والفضيلة وأما قول
الجوهري الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة
فعبارة مدخولة من جهة المعنى لأن الكمال خلاف النقص
أيضا ولا يقال للشيء إذا كمل إنه فضل فيقال للعاشر
إنه كمل العشرة ولا يقال زاد ولا فضل ۝ وأما الفضيلة
فإذا تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد
فإنه يقال فضله وله الفضل عما هو كمال ذلك الشيء

فيقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في
الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو
وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بلغة زائدة
لم يقل إنه أفضل لأن ذلك زيادة في الجسم ونقصان في
المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لم يخف
لمعناه وصفاته لا لجسمه ۝ وإذا علم ذلك أن العلم
فضيلة لمن قام به بالإضافة إلى سائر الحيوانات
وشدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على
الإطلاق والعلم فضيلة على الإطلاق لذاته من غير
إضافة فإنه وصف كمال الله تعالى وبه شرفت
الأنبياء والملائكة بل الكيس الفطن يرى الحيل الفادة من ج
خير من البليد فهو فضيلة على الإطلاق ۝ واعلم
أن الشيء المرغوب فيه النفيس ينقسم إلى ما يطلب
لذاته وإلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لهما
والمطلوب لذاته أفضل من المطلوب لغيره

وعند الغزالي من المطلوب لغيره الدراهم والدنانير
وقال لولم تنقضي بهما الحاجات لكانا هما والحصبا سوا
والذي يطلب لذاته كسعادة الاخرة والنظر
الى وجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره
كسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث
كونها سلامة من الالم ومطلوبة للمشي بها في المآرب
والحاجات ۝ والعلم مطلوب لذاته ولغيره اما لذاته
فلانه لذيذ فهو مطلوب لذاته واما كونه مطلوبا
لغيره فلان به يحصل شرف الدنيا والفوز في الاخرة
بالسعادة السرمدية والفوز من الله تعالى ولا
يتوصل اليه الا به هنا كله جمهور كلام الغزالي
رحمه الله وفي بعضه نزاع لا يتعلق بغرضنا ۝
وعند هنا نقول قد ورد في تفضيل العلم في الكتاب
والسنة كثير ولسنا ذاكرين الا ما يتعلق به غرض
في الافضلية وكذلك الحال في الجهاد ثم نذكر

ما ورد في الشهادة وغير ما في كل واحد من الرجحان ۝
اما العلم فلنذكر ما يتعلق به من الكتاب ثم من السنة
ثم من الاثار ۝ اما الكتاب فمن وجوه احدها ان الله
تعالى اهل اهله ان يكونوا شهدا في اصل الدين ۝
والثاني ترجيحهم على من سواهم ۝ والثالث
اختصاصهم بخشية الله تعالى ۝ والرابع وصفهم
بما فيه ترجيح لهم ۝ اما الوجه الاول فمن ذلك قوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولو العلم
قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين
عند الله الاسلام فقد اخبر الله انهم شهدوا
مع الله تعالى ومع ملايكته بانه لا اله الا هو وكفى
بذلك فضلا لا مزية عليه ولا مرتبة ارجح منها وانما
على قراءة الكسائي وهو فتح ان في قوله تعالى ان
الدين عند الله الاسلام فيصح منه ان يكونوا شهدا
ايضا بكون الدين عند الله الاسلام وهذه المرتبة لم تحصل

للمجاهدين ولا لغيرهم ۝ وقال تعالى قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ۝
بعد قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا فجعله
شهيدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الكفار
في كونه رسولا ۝ الوجه الثاني قوله تعالى هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا الاستفهام
تقرير رجحان العالم على الذي لا يعلم وهذه الآية يعارضها
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر الآية
وسيأتي إن شاء الله تعالى ۝ وكذلك قوله تعالى يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
وسيأتي قوله تعالى فضل الله المجاهدين ۝ الوجه
الثالث حجتهم في خشية الله تعالى في قوله تعالى
إنما يخشى الله من عباده العلماء فهذا حصر في الخشية
في العلماء إما على وجه المبالغة أو التحقيق وهذا يدل
على رجحانهم في الخشية الوجه الرابع ۝ في حقهم

بما يرجحهم فمن ذلك قوله تعالى وتلك الأمثال
نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ۝ فعرفهم
سبحانه أنه ما يعقل عنه إلا العالم ۝ وأما السنة
فمنها ما في الصحيحين عن الحميد قال سمعت معوية رضي الله عنه
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم
ويعطي الله ۝ وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث
صدقة جارية ۝ أو علم ينتفع به ۝ أو ولد صالح يدعو
له ۝ وروى أيضا في صحيحه عن أبي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى
والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة
طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير
وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس
فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة

أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ
فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني
الله به فعلم وعلم ۞ ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم
يقبل هدى الله الذي أرسلت به ۞ ومن ذلك ۞
ما رواه أبو داود بإسناده عن كثير بن قيس
قال كنت جالسا مع أبي الدردا في مسجد دمشق
فجاءه رجل فقال يا أبا الدردا إني جئتك من مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني أنك تحدثه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة قال
فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا
من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب
العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات
ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف البحر وإن
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر

الكواكب وإن العلما ورثة الأنبيا وإن الأنبيا
لا يورثوا درهما ولا دينارا وورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظ وافر أخرجه مسلم بعض هذا الحديث
وأخرج الدارقطني الحديث كله وأخرج
الترمذي أيضا كله وقال فيه عن قيس بن كثير
قال قدم رجل من المدينة على أبي الدردا فذكره
وقال لا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم
ابن رجا بن حيوة وليس إسناده عندي بمتصل وذكر
أن الأول أصح هذا آخر كلامه وقد اختلف في
هذا الحديث اختلافا كثيرا فقيل فيه كثير بن قيس
وقيل قيس بن كثير كما ذكرناه وقيل إن كثير بن قيس
ذكر أنه جا رجل من أهل مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي بعضها عن كثير بن قيس قال
أتيت أبا الدردا وهو جالس في مسجد دمشق فقلت
يا أبا الدردا اى من حدثك رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حديث بلغني عنك ه وفي بعضها جاء رجل من
أهل المدينة وهو بمصر ومنهم من أثبت في إسناده داود
ابن حميد ومنهم من أسقطه وروى عن كثير بن قيس
عن يزيد بن سمرة عن أبي الدرداء وروي عن يزيد بن سمرة
وغيره من أهل العلم عن كثير بن قيس قال أقبل
رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء وذكر ان
سميع في الطبقة الثامنة من تابعي أهل الشام قال
وكثير بن قيس أمره لم يثبته أبو سعيد يعني دحيما
وروى أبو داود عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء
يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وهذا حديث
عظيم يدل على أن طلب العلم أفضل الأعمال وأنه لا يبلغ
أحد رتبة العلماء وأن رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبيا وقوله
إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم قيل
إن معناه تخضع له وتعظمه ه وقيل تبسطها له بالدعاء
لأن جناح الطائر يده ه وقوله إن العالم ليستغفر

له من في السموات ومن في الأرض يعني من هنا من
يعقل وما لا يعقل غير أنه غلب من يعقل بدليل ان تمام
الكلام قد جا في غير كتاب أبي داود فقال
حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف الماء
وعلى هذا المعنى يدل من حديث أبي داود أنه عطف
الحيتان بالواو على من في السموات ومن في الأرض
فإنه يفيد أن من يعقل وما لا يعقل يستغفر للعالم
وأما استغفار من يعقل فواضح فإنه دعا له بالمغفرة
وأما استغفار ما لا يعقل فقال القرطبي هو والله
أعلم أن الله يغفر له ويأجره بعدد كل شيء يلحقه
أثر من علم العالم ه وبيان ذلك أن العالم يبين حكم
الله في السموات والأرض وفي كل ما فيهما وما
بينهما فيغفر له بذلك ذنبه ويعظم له أجره ه
وقوله وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر
على سائر الكواكب هذه المفاضلة لا يصح حتى يكون

كل واحد منهما قائما بما وجب عليه من العلم
والعمل فان العابد لو ترك شيئا من الواجبات او
عملها على جهل لم يستحق اسم العابد ولا يصح له عبادة
والعالم لو ترك شيئا من الواجبات لكان مذموما
ولم يستحق اسم العالم فاذن محل التفضيل انما هو في
النوافل والعابد يستعمل ازمانه في النوافل من
الصلاة والصوم والذكر وغير ذلك والعالم
يستعمل ازمانه في طلب العلم وحفظه وتقييده
وتعليمه وهذا هو الذي يشبهه بالبدر لانه قد كمل
في نفسه واستضا به كل شي في العالم من حيث
ان علمه يتعدى الى غيره وليس كذلك العابد فان
غايته ان ينتفع في نفسه ولذلك شبهه بالكواكب
الذي غايته ان يظهر نفسه وقوله ان العلما ورثة الانبيا
وانما خص العلما بالوراثة وان كان العباد ايضا
قد ورثوا عنه العلم بما صاروا اليه من عبادة

لان العلما هم الذين نابوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حملهم العلم عنه وتبليغهم اياه لامته وارشادهم
لهم وهدايتهم وبالجملة فالعلما هم العاملون
بمصالح الامة بعده الذابون عن سنته الحافظون
لشريعته فهولاء الاحق بالوراثة والاولى بالنيابة
والخلافة وقوله ان الانبيا لم يورثوا دينارا
يعني انهم صلوات الله عليهم كان الغالب عليهم
الزهد فلا يتركون ما يورث عنهم ومن ترك منهم
شيئا فيصح ان يورث عنه تصدق به قبل موته كما فعل
نبينا صلى الله عليه وسلم حين قال لا نورث ما
تركنا صدقة هذا على قول من يقول ما تركنا صدقة
انشا منه عليه السلام لا اخبار وقوله فمن
اخذه اخذ بحظ عظيم وافر اي لا شي اعظم منه
ولا افضل كما ذكرناه **ومن ذلك** ما رواه
الترمذي باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه اشد
على الشيطان من الف عابد قال ابو عيسى هذا حديث
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث الوليد
ابن مسلم ۞ واعلم ان رجحان العلم ههنا على الجهاد
ولدخول الجهاد في مسمى العبادة ومن ذلك
الحديثان السابقان احدهما عن عثمان رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشفع يوم القيامة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا ۞
وهذا يدل على الافضلية للاتيان بلفظة ثم التي
تقتضي الترتيب ومن ذلك ما ذكر ابو زكريا
النووي ان الترمذي روى عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه
اشد على الشيطان من الف عابد قال ابو زكريا
ورواه ابو هريرة رضي الله عنه وزاد ولكل شي
عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عبد الله تعالى

بشي افضل من فقه في الدين قال وقال حديث حسن
ومن ذلك ما رواه الترمذي باسناده عن
ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله وملايكته واهل السموات والارض
حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على
معلم الناس الخير قال حديث حسن واما الاثار
فمنها ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
قال العالم افضل من الصايم القايم المجاهد واذا مات
العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه ۞
ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
للعلماء درجات فوق المومنين بسبع ماية درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمس ماية عام ۞ ومنها ما روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال عليكم بالعلم قبل

أن يرفع ورفعه بملكه وأنه فوالذي نفسي بيده
ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء
القيامة علما لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد
عالما وانما العلم بالتعلم . وأثر علي رضي الله عنه
نص في فضل العالم على المجاهد . واثر ابن مسعود
نص في فضل العالم على الشهيد . وسئل ابن المبارك
من الناس فقال العلماء . قيل فمن الملوك قال الزهاد
قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه واشار ابن المبارك
في قوله الناس العلماء ان الخاصية التي بها تميز الانسان
عن سائر الحيوانات انما هو العلم والانسان انسان بما
هو شريف من اجله وليس ذلك بقوة الشخص فان
الجمل اقوى منه ولا لعظم جثته فان الفيل اعظم
جثة منه ولا لشجاعته فان السبع اشجع منه ولا لاكله
فان الجمل اوسع بطنا منه ولا لمجامعته فان العصفور
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم ومصداق

ذلك ان الله تعالى لم يحتج لآدم عليه السلام على
الملائكة الا بما اودعه من العلم **واما الجهاد**
فقد ورد في فضله من القرآن والاخبار ما كثر
وازداد كثرة في الذكر وتكرارا على ذكر العلم
وليس ذلك لرجحانه بل لما تقدم في المقدمات
من ان الحاجة كانت اليه في ابتداء الاسلام اشد
من العلم يسيرا انا ذاكره ان شاء الله تعالى حيث اذكر
الاستنباط ولست اذكر الا ما يدل على رجحان الجهاد
لا ما يرد من الأمر به **فاما ما ورد في الكتاب**
فمن ذلك قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين (على القاعدين)
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما فهذه الآية دلت على رجحان المجاهدين

على القاعدين غير اولي الضرر والعالم من جملة القاعدين
فان قيل هذه الاية مختصة باهل بدر والمعنى لا يستوي
القاعدون عن بدر والخارجون اليها ولا شك ان بدرا
ارجح الغزوات فلا بد من رجحان من غزا في ارجح
الغزوات على غيره ان يرجح غيره ثم نقول
العالم ايضا قد يجاهد ثم نقول العالم وان لم يجاهد
بالسيف فهو مجاهد بالحجة وقد تقدم رجحان المجاهد
بالحجة على الجهاد بالسيف قلنا ما ذكرتموه
مروي عن ابن عباس وقد قال غيره خلافه والاصل
التعميم الا بدليل ولو فرض نزولها بسبب واقعة
فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان خالف
في ذلك مخالف فقد قرر عليه بطلان مذهبه في
اصول الفقه وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر
والخارجون اليها وهذا اجتهاد من ابن عباس بدليل

ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
عن بدر والخارجون الى بدر لما نزلت غزوة بدر
قال عبد الله بن جحش وابن ام مكتوم انا اعميان
يا رسول الله فهل لنا رخصة نزلت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر وفضل الله المجاهدين
على القاعدين درجة فهؤلاء القاعدون غير اولي الضرر
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير اولي
الضرر قال حديث حسن واما قولكم ان العالم
قد يجاهد قلنا رجح بكونه مجاهدا وعالما لا
بكونه عالما فقط واما قولكم ان العالم يجاهد
بالحجة قلنا ذلك ايضا بكونه مجاهدا بالحجة لا بكونه
عالما والايات في فضل الجهاد كثيرة ولكن
هذه اخص بالبحث في الافضلية واما السنة

ومن ذلك ما روى الشيخان باسنادهما عن سهل بن سعد
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة
يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا
وما عليها وفي رواية وما فيها ٥ ومن ذلك ٥
ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي ايوب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة في سبيل الله
او روحة خير مما طلعت عليه الشمس ٥ وقد روي
هذا عن انس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن
عباس وابي هريرة رضي الله عنهم اجمعين ٥ قال
العلماء في معنى ذلك ان الثواب الحاصل على مشية
واحدة في الجهاد خير لصاحبه من الدنيا كلها
لو جمعت له بحذافيرها ٥ وهذا كما قال في الحديث
الآخر وموضع قوس احدكم او سوطه في الجنة

خير من الدنيا وما فيها ٥ قالت العلماء وهذا منه صلى
الله عليه وسلم انما هو على ما استقر في النفوس
من تعظيم ملك الدنيا واما على التحقيق فلا تدخل
الجنة مع الدنيا تحت افعل التفضيل ٥ وقيل معنى
ذلك ثواب الغدوة والروحة افضل من الدنيا
وما فيها لو ملكها مالك انفقها في وجوه البر
والطاعة غير الجهاد قال بعضهم هذا اليق
والاول اسبق ومن ذلك ٥ ما روى البخاري
باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا
قال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال
لا اجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهدون
ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر
فقال ومن يستطيع ذلك فقال ابو هريرة فان فرس
المجاهد ليستن يمرح في طوله فيكتب له حسنات
ومن ذلك ما رواه مسلم عنه ايضا قال قيل يا رسول

مما رواه النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا زعيم والزعيم الحميل لمن
آمن بي واسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في
وسط الجنة وانا زعيم لمن آمن بي واسلم وجاهد في سبيل الله ببيت
في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في اعلى غرف
الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا
يموت حيث شاء ان يموت

الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله قال لا تستطيعونه
واعادوا عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول لا
تستطيعونه ثم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل
الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلوة ولا
صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ومن ذلك
ما روى الشيخان باسنادهما عن ابي سعيد رضي الله
عنه اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اي الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله
في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب
يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره
ومن ذلك ما روى الترمذي باسناده عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الا اخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه
في سبيل الله الا اخبركم بالذي يتلوه رجل معتزل
في غنيمة له يؤدي حق الله فيها الا اخبركم بشر

الناس

الناس رجل يسأل بالله لا يعطي به ومن ذلك
ما رواه النسائي عنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا اخبركم بخير الناس منزلا قلنا بلى يا رسول
الله قال رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله
حتى يموت او يقتل أخبركم بالذي يليه قلنا
نعم يا رسول الله قال رجل معتزل في شعب من
الشعاب الحديث ومن ذلك ما رواه مسلم في
صحيحه عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد
فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال
واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما
بين الدرجتين كما بين السماء والارض قال وما هي
يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل
الله ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آمن بالله ورسوله وأقام الصلوة وآتى الزكاة وصام
رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد
في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا
أفلا نبشر الناس بقولك فقال إن في الجنة مائة
درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين
كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله تعالى فسلوه
الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه
عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة **ومن ذلك**
ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر
لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل
الأعمال فقام رجل الحديث **ومن ذلك** ما رواه
النسائي عن عبد الله بن حبشي الخثعمي قال إن النبي صلى
الله عليه وسلم سئل أي الأعمال أفضل قال إيمان لا

شك فيه وجهاد لا غلول فيه الحديث **ومن ذلك**
ما رواه الشيخان بإسنادهما عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل
أفضل قال إيمان بالله ورسوله فقيل ثم ماذا قال
الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور
ومن ذلك ما رواه الترمذي عنه أيضا قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال
أفضل أو أي الأعمال خير قال إيمان بالله ورسوله
قيل ثم أي شيء قال الجهاد سنام العمل قيل ثم أي
شيء يا رسول الله قال حج مبرور قال حسن صحيح
ومن ذلك ما رواه النسائي عن أبي ذر رضي
الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل
خير قال إيمان بالله وجهاد في سبيل الله
ومن ذلك ما رواه الشيخان بإسنادهما عنه
أيضا قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي

العمل أفضل قال الإيمان بالله والجهاد في سبيله قلت
فأي الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها
قلت فإن لم أفعل قال تعين صانعا أو تصنع لأخرق
قلت يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل
قال تكف شرك عن الناس فإنها صدقة تتصدق بها
على نفسك **وأما الشهادة** فرجحانها بما أعد الله
لهم من الكرامة والثواب عن الكرامة ما خصهم
الله تعالى برزق أرواحهم كما قال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وقد روى
مسلم في صحيحه بإسناده عن مسروق قال سألنا
عبد الله عن هذه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما إنا قد
سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير
خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث

شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع ربهم عز وجل
اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي
ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم
ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا
قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا إلينا في
أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة فلما رأى أن ليس
لهم حاجة تركوا واعلم أن الذي سأله مسروق
هو ابن مسعود ظن بعضهم أنه عبد الله بن عمرو وهو خطأ
بل جاء مصرحا به من طريق وقوله أما إنا سألنا عن ذلك
فقال كذا صحت الرواية وأنه لم يذكر فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد قطعا ولذلك
أسند الفعل إلى ضميره فقال قال وإنما سلب عنه العلم به
فهو مرفوع ولا يقال هو موقوف وعلى أنه قد جاء مصرحا
به من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فرواه أبو
داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله

لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف
طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي
إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا
عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد
ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل
الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء الآية ۝ ونحوه حديث الترمذي عن كعب بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أرواح الشهدا
في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة
قال حديث حسن صحيح ۝ فظهر بهذا أن أرواحهم باقية
موصوفة بالحياة وأنها مودوعة في أجواف الطير أو
حواصلها وليست الطير أجسادا لها بل هي مودوعة على
سبيل الحفظ والصيانة والإكرام ثم إنها تطلع على
ما في الجنة من المحاسن والنعيم كما يطلع الراكب المظلل

عليه بالهودج الشفاف الذي لا يحجب عما وراه ثم يرزقون
في تلك الحال التي يسرحون فيها من روايح الجنة وطيبها
ونعيمها وسرورها ما تليق بالأرواح مما ترزق وتنتعش
به وأما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح
إلى أجسادها استوفت ما أعد الله لها من النعيم ۝
فإن قيل هذا حاصل لكل مومن بدليل حديث مالك
الذي قال فيه إنما نسمة المومن طاير معلق من شجر الجنة
قلنا المراد بالمومن الشهيد وفي هذا توفيق بين الأحاديث
فإن منها حديث إذا مات الإنسان عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي من الجنة والنار فيقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة فالمومن غير
الشهيد هو الذي يعرض عليه مقعده وهو في موضعه
من قبره أو غيره ليس داخلا في الجنة فضلا عن أن يكون
سارحا فيها وكذلك الكفار فإنهم يرون مقاعدهم
من النار وليسوا في القبر في النار بل لأن مقاعدهم

من النار ولكل طائفة مرتبة مقعده ما يناسب مقعده
من النعيم والشقا نسأل الله العافية كما قال تعالى النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون أشد العذاب فهم مشتركون في بقاء الارواح
بعد الموت مختلفون بالنعمة والعذاب ۝ وتختلف أهل
النعمة بان المقتول في الجنة من حين استشهاده وغيره
ليس في الجنة لكن يرى مقعده من الجنة بلغنا الله
الشهادة ورزقنا اياها ومن الكرامة ان الله اطلع
اطلع اليهم اطلاعة اي تجلى لهم برفع حجبهم عنه
وكلمهم كفاحا من غير واسطة كما ظهر من حديث مسلم
السابق ۝ وابلغ منه في هذا المعنى ما رواه الترمذي
باسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لقيني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر ما لي اراك
منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم احد
وترك عيالا ودينا قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك

قال قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله احدا قط
الا من وراء حجاب واحيا اباك فكلمه كفاحا فقال
يا عبدي تمن علي اعطيك قال يا رب تحييني واقتل
فيك ثانية قال الرب عز وجل انه قد سبق مني
انهم لا يرجعون قال وانزلت هذه الآية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية قال الترمذي
حديث حسن غريب من هذا الوجه ۝ قال وقد روى
عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن ستار من هذا
ولا نعرفه الا من حديث موسى بن ابرهيم ورواه
علي بن عبد الله المديني وغير واحد من كبار اهل
الحديث عن موسى بن ابرهيم واقول يحيى بن حبيب
ابن عربي الذي روى عنه الترمذي هذا الحديث
روى عنه مسلم وابو حاتم وسئل ابو حاتم عنه فقال
صدوق ۝ وروى يحيى هذا الحديث عن موسى بن
ابرهيم عن طلحة بن خراش بن عبد الرحمن وكلاهما

مدني ثقة ثم جابر فقد استحق ان يقال فيه انه حديث حسن
واما الذي ذكره الترمذي من ان عبد الله بن محمد بن
عقيل روى عن جابر شيئا من هذا فقد رواه ابن عيينه
عن محمد بن علي السلمي عن محمد المذكور عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمت ان
الله أحيا اباك فقال له تمن فقال أتمنى ان ارد الى
الدنيا فاقتل فقال فاني قضيت انهم اليها لا يرجعون
ومن ذلك سبق الشهيد في دخول الجنة واصله
ما روى الترمذي باسناده عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف
متعفف وعبد احسن عبادة الله ونصح لمواليه ○
قال حديث حسن ○ وهذا يدل على كون الشهيد
من اول ثلثة يدخلون الجنة لانه اول من يدخل
مطلقا ومن ذلك الخصال الست التي لم ترد مجموعة

لغير الشهيد فيما نعلمه وهي ما رواه الترمذي ○
باسناده عن المقدام بن معدي كرب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله
ست خصال يغفر له في اول دفعة ويرى مقعده
من الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع
الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوتة
منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج بثنتين وسبعين
زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من اقاربه
قال الترمذي حديث حسن صحيح ومن ذلك
شفاعته في سبعين من اهل بيته وذلك ثابت
والحديث السابق وبما رواه الترمذي عن نمران
ابن عتبة الذماري قال دخلنا على ام الدردا
ونحن ايتام فقالت ابشروا فاني سمعت ابا الدردا
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يشفع
الشهيد في سبعين من اهل بيته ومن ذلك

رفعته على الناس يوم القيامة والأصل فيه ما رواه
الترمذي باسناده عن فضالة بن عبيد قال سمعت
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل
مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل
فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة
هكذا ورفع رأسه وقعت قلنسوته فلا أدري حتى
قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم
ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب
جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو
في الدرجة الثانية ۝ ورجل مؤمن خلط عملا صالحا
وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك
في الدرجة الثالثة ۝ ورجل مؤمن أسرف على نفسه
لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة
الرابعة قال الترمذي حديث حسن غريب ۝

ومن ذلك اختصاصه بتمني العود إلى الدنيا لما
رأى من الكرامة التي أكرمه بها كما تقدم في
حديث مسلم عن مسروق وحديث الترمذي عن جابر
رضي الله عنه وكما روى الشيخان بإسنادهما
عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من أحد يدخل الجنة
يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من
شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل
عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية
لهما لما يرى من فضل الشهادة **ومن ذلك**
تمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة ۝
فروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله عز
وجل لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في
سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن

أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه
نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم
يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم
لونه لون الدم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا
أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله
ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم
أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في
سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ۝ قوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل فهو علي ضامن
قيل إنه هو بمعنى مضمون ۝ كما قالوا ماء دافق أي مدفوق
ولا عاصم من أمر الله أي معصوم ۝ وقيل معناه ذو
ضمان كما قال في الحديث الآخر تكفل الله أي ضمن
وكذلك أول الحديث فضمن يرجع ذلك إلى أن هذا
الجزاء لا بد منه إذ قد وعد به ونفذ حكمه به وسبق ذلك
في علمه وكذلك جاءت الآية في الشرى في قوله تعالى إن

الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة الآية لأن من اشترى شيئا تعين عليه ثمنه وكذلك
من ضمن وكفل والقول الثاني قول الخليل وهو المنصور في
علم العربية ۝ وقال الخليل في عيشة راضية أي ذات
رضى ۝ وقول الشاعر ۝
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي ۝
على هذا المعنى ۝ والذي ضمنه الله تعالى للمجاهد
إحدى الحسنيين إما الشهادة فيحيى في الجنة مرزوقا
كما تقدم أو يرجع إلى وطنه بالأجر والغنيمة ۝
وأكثر الرواة لهذا الحديث رووه بأو في قوله
أجر أو غنيمة وهي فيه إما بمعنى الواو الجامعة على
مذهب الكوفيين مستشهدين بقول جرير ۝
نال الخلافة إذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر
ويؤيده أنه رواه بعض رواة مسلم بالواو وكذلك
وقع في سنن أبي داود وجرى بعض العلماء على ظاهر

هذا الحديث وقال اذا غنم المجاهد فلا اجر له وهذا
باطل يرده ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم قال ما من غازية تغزو فيصيبوا
ويغنموا الا تعجلوا ثلثي اجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث
فهذا نص في حصول الاجر مع الغنيمة ومما جاء في تمنيه
صلى الله عليه وسلم الشهادة ما رواه النسائي عن ابن ابي
عميرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس
مسلم يقبضها الله تحب ان ترجع اليكم وان لها الدنيا
وما فيها غير الشهيد قال ابن ابي عميرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم لان اقتل في سبيل الله احب الي من ان يكون
لي اهل المدر والوبر واقول هذا منه صلى الله عليه وسلم
على نحو ما في الحديث الآخر من قوله خير من الدنيا وما فيها
يعني ان الثواب الحاصل على الشهادة خير من اهل الوبر
والمدر كما جاء في احاديث خير لك من حمر النعم ويجي فيه
المذهب السابق عن بعضهم ان الشهادة خير من اهل

الوبر والمدر لو ملكه مالك فانفقه في وجوه البر من الدنيا
والطاعة غير الجهاد كما تقدم ۝ ومن ذلك
تكفير الشهادة الخطايا غير حقوق العباد والاصل في
ذلك ما روى مسلم باسناده عن ابي قتادة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر
ان الجهاد في سبيل الله والايمان افضل الاعمال فقام
رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله [illegible]
وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت
في سبيل الله اتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر
محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك
وفي الموطأ فلما ادبر الرجل ناداه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر ما في الحديث ۝ وروى النسائي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله

عليه وسلم وهو يخطب على المنبر فقال أرأيت إن قاتلت في
سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر أيكفر الله عني سيئاتي
قال نعم ثم سكت ساعة قال أين السائل آنفا فقال
الرجل ها أنا ذا قال ما قلت قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله تعالى
صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر أيكفر الله عني سيئاتي قال
نعم إلا الدين سارني به جبريل عليه السلام آنفا هكذا
لفظ النسائي في السؤال إن قاتلت وفي إعادة السؤال
إن قتلت وتقدير الكلام في السؤال أرأيت إن قاتلت
فقتلت فذكر ذلك العلم به ﻫ ويؤيده ما رواه عن
أبي قتادة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله أرأيت
بسيفي هذا في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر
حتى أقتل أيكفر عني خطاياي قال نعم فلما أدبر دعاه
فقال هذا جبريل يقول إلا أن يكون عليك دين ﻫ
وإن كان النسائي أخطأ في هذا الحديث فإنه رواه من طريق

عمرو بن دينار عن محمد بن قيس عن ابن أبي قتادة عن
أبيه ولم يروه عمرو بن دينار إلا مرسلا ولم يذكر أبا قتادة
ولا ابنه نعم محمد بن عجلان رفعه على نحو ما رواه النسائي
وقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
أن النبي صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر تام
كل شيء إلا الدين ﻫ وهذه الأحاديث تقتضي
تكفير كل الخطايا المتعلقة بالله تعالى سواء أن تمحضت
لله أو له وللآدمي فإنه ما من معصية تتعلق بالآدميين
إلا وهو ذنب بالنسبة إلى الله تعالى أيضا هذا مقتضى
العموم وخرجت حقوق الآدميين بالاستثناء وإنما
ذكر الدين بينها على ما في معناه من حقوق الآدميين
كالغصب وأخذ المال بالباطل وقتل العمد وجرحه
نبل كل ذلك أولا أن لا تكفره الشهادة من الدين
هذا كله إذا امتنع من أداء الحق مع تمكنه أما إذا لم
يجد للخروج من ذلك سبيلا فالمرجو من كرم الله تعالى

اذا صدق في قصده وصحت توبته ان يرضي الله تعالى
عنه خصومه كما قد جا نصا في حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه والحكم بكون الشهادة لا تكفر الدين
باق الى الان ٥ وظن بعض العلما انه نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم
من ترك دينا او ضياعا فعلي وهذا باطل فان هذا
الحديث بيان انه صلى الله عليه وسلم يودي دين من عليه
دين فهو متعلق بامر الدين في الدنيا اما التلف فانه في
الاخرة ولا تعلق لهذا الحديث به البتة فكيف يكون
ناسخا له ٥ ومن ذلك ٥ ان الشهيد كما سلم من
عذاب القبر سلم من فتنته ايضا كما رواه النسائي
عن راشد بن سعد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون
في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على
راسه فتنة ٥ ومن ذلك ان تمني الشهادة
يحصل منزلتها وان لم تحصل هي كما رواه مسلم في

صحيحه عن سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من سال الله الشهادة بصدق بلغه الله تعالى منازل
الشهداء وان مات على فراشه واعلم ان من استقرا
الكتاب والسنة لم يجد في العلم ولا غيره من الطاعات
قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقارب ما
صح عنه في الشهادة من انواع الكرامات ٥
والذي تثلج اليه نفسي وتسكن كل السكون ان
العلم افضل في الرتبة بالقول الاجمالي واما ان الله
اعد لاهل العلم ما اعد للشهداء فهذا لم اجده ولم
يوجد واذا اعترض معترض وقال كيف يكون
العلم افضل ولا نجزم بان ما اعد الله للعلماء اكثر مما
اعده للشهداء قلنا له قد قررنا في القواعد ان الثواب
لله تعالى يثيب من يشا ما يشا على ما يشا فان شا اثاب
على غير عمل ولا يكون ثوابا ولا جزاء بل فضلا واحسانا
ابتدا وقد تقدم في حديث الشهيد الذي كانما ضرب

جلده بشوك الطلح من الجبن ثم اتاه سهم غرب فجعله في الدرجة
الثانية وقدمه على شهيد بن بعده عملا وصدقا ثم اعلم
ان الكرامات السابقة منها ما جا الوعد به للشهيد
ومنها ما جا الوعد به لمن قتل في سبيل الله ولفظ الشهيد
كما تقدم في الحديث لا يختص بمن قتل في سبيل الله
ولا يبعد النعيم في حقهم اللهم الا ان يدعي ان المقتول
يختص بلفظ الشهادة غلبة ويحمل عليه لانه المعهود
وقد ورد في بعض الكرامات لفظ المقتول
وفي رواية لفظ الشهادة كما تقدم في حديث
مسلم عن عبد الله بن عمرو وفي تكفير القتل في سبيل
الله كل شي الا الدين وورد في صحيح مسلم عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد
كل شي الا الدين والبحث فيه البحث السابق
واما الجهاد فلانه في رفع الدرجات على احد
الثقلين وقد تقدم في العلم واما حديث النسائي
مثله

عن فضالة بن عبيد وان للمجاهد بيتا في اعلى غرف الجنة ما ينبغي
أن يكون بغير وليس في الثواب ما يؤدي في الفضيلة
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العالم
العابد بنفسه على ادنى المخاطبين واما كون المجاهد
لم يدع في الخير مطلبا فالمراد بالخير هنا الشهادة
ونحوها وكذلك قال صلى الله عليه وسلم يموت
حيث شا ان يموت ولا على تعميه فان انواع الخير غير
الجهاد مما لم يطلبه المجاهدين كالعلم والحج واقوى
من ذلك في العلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
فانا لو تركنا وذلك لكان مفهوم الشرط معطي ان
من لم يرد به خيرا لا يفقهه في الدين ولم يرد في نوع
من العبادات مثل ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم
للقايل دلني على عمل يعدل الجهاد لا اجده فالظاهر
والله اعلم لا اجده لك وعلى كل حالة فانه يدل على رجحان
العلم والحديث الاخر يا رسول الله ما يعدل الجهاد في
وكذلك

سبيل الله فانه جعل الجهاد بعدله العبادة بالصيام
والقيام والقنوت حتى يرجع المجاهد وفي فضل العالم
على العابد ما يرجح على ذلك كله كما تقدم في ضرب
المثل بالنبي صلى الله عليه وسلم مع ادنى المخاطبين
واما احاديث ان الجهاد افضل الاعمال فهو بحسب
اختلاف احوال الشخص السائل او المخاطب كما تقدم
بدليل ورود ذلك في الصلاة وغيرها من الطاعات
وقد اوضح ذلك حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يرسول الله نرى الجهاد افضل الاعمال
افلا نجاهد قال لكن افضل الجهاد واجمله حج مبرور
فانظر كيف جاء هذا الحديث صريحا في ان الجهاد يطلق
على جهاد النفس اذ جعل الحج من الجهاد ثم فضل الحج
على سائر انواع الجهاد وما ذلك الا لكون المخاطب
عائشة رضي الله عنها على انه قد يكون جعل النبي صلى الله
عليه وسلم الحج من الجهاد اذا اريد بالجهاد الجهاد

بالسيف من باب المشاكلة وهو ذكر الشيء بلفظ
غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا او تقديرا فمن الاول

قول الشاعر

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
فعبر عن الخياطة بالطبخ ومثال الثاني قوله تعالى
صبغة الله فان المراد بها تطهير الله فهي مصدر مؤكد
عن قوله آمنا بالله والايمان هو المطهر لا الماء المعمودية
التي تطهر به النصارى اولادهم وهو ماء اصفر
فيكون الحج من الجهاد على المشاكلة ثم اذا قيل
ان الجهاد في زمنه صلى الله عليه فرض عين او تعين
نحن نسلم انه افضل من جميع العبادات العملية واما
اذا لم يتعين فقد ترجح جماعات الصلوة واذا تأمل الناظر
احوال الاسلام في ابتدائه وجد الامر المهم اذ ذاك
الجهاد لانه كان الوسيلة الى ظهور الايمان الذي
هو افضل الاعمال وحفظ البيضة والمسلمون يومئذ

قليلون وكل طايفة غيرهم أعداؤهم فلو تأخر الجهاد
واشتغل بغيره أدى إلى محذور عظيم وحسبك من ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لا
تعبد في الأرض وقد تقدم هذا لمسلم من رواية عمر بن
الخطاب ذكرته في فضائل أبي بكر رضي الله عنه ن
وكون المجاهد له بيت في أعلى غرف الجنة لا يدل على
ان ذلك البيت أعلى الأعلى فجاز ان تكون الغرف
لها أعلى ولها أسفل وان كانت الغرفة أعلى غرف
الجنة وهذا مثاله في عمائر الدنيا واضح فهذا هو الكلام
من جهة ما ورد ن وأما ما تقتضيه القواعد السابقة
ومسالك النظر فلا تقضي برجحان العلم على الجهاد
بالنسبة الى الفضيلة على الاطلاق ولا بالعكس بل ينظر
الى حال المكلف فان كان الأنسب به الاشتغال .
وتعلم العلم استشهاد ن ما تقدم العلم بالشهادتين
على الوجه الذي يشترط في التكليف فقد تقدم انه أرجح

من كل شي لانه تحصيل لأرجح المصالح ودفع لأرذل
المفاسد فهذا العلم أرجح من كل جهاد وكذلك
تقدم ان الايمان مقصود لنفسه وان الجهاد من باب
الوسيلة وان المقصود لنفسه راجح على وسيلته
فأفضل المقصود لنفسه الايمان وأفضل الوسايل
الجهاد وهذا مستثمر من المقدمة الأولى ن وفي
البخاري عن البرا رضي الله عنه قال اتى النبي صلى
الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال يا رسول الله
أقاتل أو أسلم قال اسلم ثم قاتل فأسلم ثم قاتل فقتل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قليلا وأجر
كثيرا وهذا يؤكد ما في الأحاديث السابقة
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل قال ايمان
بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل
الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور أخرجاه في الصحيحين

وكذلك الترمذي وقال حديث حسن صحيح ۝ وأما
العلم بغير الشهادتين فان كان الجهاد للدفع في وقت
تصل الحاجة اليه جدا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوايل الغزوات من كون القتال في اغلب الاحوال
كان لحفظ بيضة الاسلام واظهار الاسلام حيث
يغلب في مقتضى العادات خفاؤه ولولا ان الله متم
نوره ولو كره الكافرون فلا يترجح على الجهاد علم هو
فرض كفاية نعم تعلم العلم بالصلاة وما بني عليه الاسلام
من الخمس حيث يكون فرض عين فان امكن الجمع بين تحصيله
وتحصيل مصلحة الجهاد رجح تعلم هذه على الجهاد وهو
مستثمر من ما تقدم في المقدمة الثالثة ان الجمع
بين المصالح اولى من الغاء بعضها وهذا لا يتخرج على ما
تقدم من رجحان فرض الكفاية على فرض العين
او العكس لان كل علم هو فرض عين فانه فرض كفاية
ايضا وان لم يمكن تحصيل مصلحة العلم مع مصلحة

الجهاد على النعت الذي ذكرناه فقد يكون الدفع
مع السعة وقد يكون لاذلال العدو ولاظهار
الاسلام ۝ **القسم الاول** ۝ اذا كان الدفع مع
السعة فههنا يترجح العلم الذي هو فرض عين لما قدمناه
وتبقى العلوم التي هي على الكفاية فان صادفت على احد
فرض عين كان تحصيلها افضل وان كانت فرض كفاية
نظر الى شدة الحاجة هل هي الى العلوم او الى الجهاد
فما كانت الحاجة اليه اشد رجح على الاخر ان جهادا
وان علما ۝ وكذلك يترجح بعض العلوم على بعض بشدة
الحاجة فمما هو فرض كفاية كعلم القرآن والحديث
والاصول والفقه والنحو واللغة والتصريف وكذلك
كل علم به قوام الدنيا كالطب والحساب وكذلك
حكم القسم الثاني بطريق الاولى وهنا اوضح حيث
قلنا فرض العين ارجح من فرض الكفاية واذا استوت
الاحوال نظر الى الشخص فان كان ممن هو صالح لاحدهما

دون الآخر كالشبر الأبيد الذرب بمكابد الحروب
غير الفطن اللقن فان الجهاد في حقه افضل من العلم
وبالعكس العلم في حقه افضل حتى ذهب بعض الشافعية
الى ان الذكي اللقن اذا شرع في العلم وظهرت عليه امارات
النجاح يصير عليه فرض عين ومن يتبع احوال الصحابة
رضي الله عنهم بعين البصيرة والنظر راى احوالهم على ما
ذكرنا وهذا الذي قلناه مستتمم من المقدمة الرابعة
ومما نتعرض له بخصوص هذه الواقعة اشيا **منها**
انه قد وقع في اذهان كثير من الناس ان الجهاد
والعلم لا يحصل ثوابهما لمن له رزق على ذلك كالاقطاع
للجند والادرارات للعلماء وهذا غلط فان ازاحة مؤونة
المجاهدين والعلماء واجبة وقد صارت هذه الادرارات
معونة للطائفتين على القيام فيما هم بصدده وذكر
ابن عطية المالكي في تفسير قوله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة الاية

ان الجند الذين ياخذون من مال بيت المال قد صادوا
بسبب ما ياخذونه يصرفون في الشدائد ويردوا عنهم
البعوث ولذلك قال بعض العلماء هم ارجح من المتطوعة
لسكون جاش المتطوعة وثقة بالهم في الضوايق والبحار
ونحوها واعلم انه قد اخذ العطا والادرار سادات
يقتدى بهم **ومنها** ان كل بلد ليس بها مفت ولا
بالقرب منها بحيث يمكن مراجعته في الحوادث فحرام
سكناها وذهب بعض الشافعية الى انه يحرم
سكناها اذا لم يكن بها مفت وان كان بقربها
والاظهر انه اذا بقربها على مسافة القصر بكل كان صح
جانب انه يكفي **ومنها** ان المهم ببلد طرابلس حماها
الله امران سوى امر الفتيا احدهما علم اصول
الدين فان بقربها من طوايف الضلالة انواع فلا بد من
داع يدعوهم الى الحق ويعرفهم وجوه البراهين
ويبطل ما اسسوه من الشبهات الفاسدة ولا يغال

عليه

ان ذلك هجرنا فمع فيهم لما جلوا فانا نرى كثيرا ممن
لا ينتسب الى الاسلام بوجه من الوجوه كاليهود والنصارى
اذا انكر على اسماعهم محاسن الاسلام اسلموا فكيف
من له في الاسلام دخول تام **المهم الثاني** في امر
تلك البلدة وما والاها الرباط فان ذلك البلد حماه
الله تعالى ثغر لنا خم جميع بلاد الروم ولا يحجبه
عن شيء منها غير البحر الذي هو اهون طريق للروم
وهم اعرف الناس بسلوكه واخبرهم بمسهلات ركوبه
هذا مع كون الروم اولي باس شديد وهم المراد بقوله
تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي
باس شديد تقاتلونهم او يسلمون على احد التفاسير وهو
اختيار كعب رضي الله عنه ثم صحت الاحاديث في دوام
ملكهم الى الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وقرب
خروج الدجال وورد استيلاؤهم على جمهور الاسلام
كما رواه مسلم عن جابر رضي الله يوشك اهل العراق

اهل العراق ان لا يجبى اليهم قفيز ولا درهم قال
ابو نضرة قلنا من اين ذاك قال من قبل العجم يمنعون
ذلك ثم قال يوشك اهل الشام ان لا يجبى اليهم دينار
ولا مدي قلنا من اين ذاك قال من قبل الروم الحديث
وفي الاثر المشهور ليخرجنكم الروم من الشام
كفرا كفرا حتى يلحقوكم الى حمى جذام هذا مع
كثرتها كلما امتد الزمان كما روى مسلم في صحيحه
باسناده عن المستورد القرشي انه قال عند عمرو بن العاص
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقوم
الساعة والروم اكثر الناس فقال عمرو ابصر ما تقول
قال اقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان قلت ذلك ان فيهم لخصالا اربعة انهم لاحلم
الناس عند فتنة واسرعهم افاقة بعد واوشكهم (مصيبة)
كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف
وخامسة حسنة جميلة وامنعهم من ظلم الملوك

فهذا يختص به من هو في الثغور المتاخمة للروم وأما
فضل الرباط عموما ففيه أحاديث جمة منها
ما روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل
الله خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها
والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة
خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها وروى
مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة
خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه
عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن
الفتان وهذا الحديث غير مخصص عموم قوله صلى الله
عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة
الحديث لأن تلك الثلاثة للعبد بسعيه فيها وأما المرابط
فإنه صدقة من الله محضة ولذلك روى أبو داود

الترمذي بإسنادهما عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله
إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى عليه عمله إلى يوم القيامة
ويؤمن من فتنة القبر ۞ وروى مسلم في صحيحه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل
ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما
سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت
في مظانه ۞ ورجل في غنيمة أو شعبة من هذه الشعاف
أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة
ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس في خير
وروى الترمذي بإسناده أن عثمان بن عفان رضي الله
عنه قال يوما على المنبر إني كنت كتمتكم حديثا سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم
عني ثم إني قد بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه
ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل
قال حديث حسن صحيح ۞ وروى الترمذي باسناده
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت ابدا
عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله
قال حديث حسن ۞ وروى النسائي عن ابن ريحانة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اغبرت
قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار ۞ فمدينة طرابلس
عمرها الله وسائر بلاد الاسلام المهم فيها علم الفقه وعلم
اصول الدين والرباط في سبيل الله ومما يرغب في سكناها
مع الرباط كونها من الشام ويكفي من فضل الشام ما رواه
الترمذي باسناده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنا
يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القران من
الرقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام
فقلت لم ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة

اجنحتها عليها قال حديث حسن ۞ وروى باسناده
بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين
تامرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام ۞ وروى ابو
داود باسناده عن ابن حوالة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيصير الامر الى ان تكونوا جنودا
مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق ۞
فقلت خر لي يا رسول الله ان ادركت ذلك فقال عليكم
بالشام فانها خيرة الله من ارضه يحشر اليها خيرته من
عباده فان ابيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم
فان الله توكل لي بالشام واهله ويخص البقعة نفسها
بانها كانت قبل اخذ الروم لها دار علم وكان اهلها
خير اهل ووقع بطرابلس في ايام بني امية وقائع انا
ذاكرها ارجو ان ينفع الله بها وهو ما رواه السمعاني
في الذيل باسناده عن عبد الله بن صدقة بن يزيد عن ابيه قال
نظرت الى ثلاثة اقبر على شرف من الارض بجبانة طرابلس

أحدها مكتوب عليه ٥
فكيف يلذ العيش من كان عالما بأن إله العرش لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وعلى القبر الثاني ٥
وكيف يلذ العيش من هو موقن بأن المنايا بغتة ستعاجله
وتسلبه ملكا عظيما ونخوة وتسكنه البيت الذي هو آهله
وعلى القبر الثالث ٥
وكيف يلذ العيش من هو صائر إلى حدث تبلي الشباب منازله
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوءه سريعا وتبلي جسمه ومفاصله
وإذا هي قبور مسنمة على قدر واحد بعضها إلى بعض فنزلت
قريبا منها فقلت لشيخ بها لقد رأيت عجبا قلت هذه
القبور فقال حديثها أعجب مما رأيت عليها قلت حدثني
قال كانوا ثلثة إخوة واحد يصحب السلطان ويؤمر على
المدن والجيوش ٥ وآخر تاجر موسر ٥ وآخر زاهد
قد تخلى وتفرد لعبادة ربه عز وجل فحضرت العابد الوفاة

فأتاه أخوه صاحب السلطان وكان عبد الملك قد ولاه
بلادنا وأتاه التاجر فقالا أوص فقال والله ما لي مال
فأوصي فيه ولا لي على أحد دين فأوصي به ولا أخلف من الدنيا
عرضا فأسلبه فقال ذو السلطان هذا مالي يا أخي فاعهد
إلي ما أحببت فأمسك عنه ٥ وقال التاجر قد عرفت
مكسبي ولعل في قلبك غصة من الخير ولا تبلغها إلا
بالإنفاق فاحكم في مالي بما أنفذه لك قال لا
حاجة لي في مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا
فلا تخالفانه إذا مت فادفناني على نشز من الأرض
واكتبا على قبري ٥
وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وزورا قبري ثلاثا لعلكما تتعظان ففعلا ذلك
وكان أخوه يركب في جنوده حتى يأتي قبره فيقرأ عليه
ويبكي فلما كان في اليوم الثالث أتى القبر فلما أراد الانصراف

سمع من اهل القبر هدة ارعبته وافزعته فانصرف
مذعورا وجلا فلما كان الليل رأى اخاه في منامه وقال
اي اخي ما الذي سمعت في قبرك قال تلك هدة المقمعة
قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره فاصبح فزعا فدعا اخاه
وخاصته وقال ما ارى اخي اراد بما اوصى ان يكتب
على قبره الا لنعتبر ونراجع اني اشهدكم اني لا اقيم
بين ظهرانيكم ابدا فترك الامارة ولزم العبادة فبلغ
ذلك عبد الملك فقال خلوه وما اختار لنفسه فكان
مأواه البراري والجبال وبطون الاودية فحضرته الوفاة
وهو مع بعض الرعاء فاتى الراعي اخاه فاعلمه فاتاه فحمله
الى منزله قبل موته فقال يا اخي الا توصي فقال ما لي
مال ولا علي دين فاوصيك ولكن اعهد اليك اذا انا
مت فاجعل قبري الى جنب قبر اخي واكتب على قبري
وكيف يلذ العيش من كان موقنا بان المنايا بغتة ستعاجله
وتسلبه ملكا عظيما ونخوة وتسكنه البيت الذي هو اهله

تعاهد قبري وادع الله عز وجل ان يرحمني فلما مات
فعل اخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من اتيانه القبر
واراد الانصراف سمع وجبة من القبر كادت ان
تذهل عقله فرجع مرعوبا فلما كان الليل رأى اخاه
في منامه قال فوثبت اليه لما تداخل قلبي من السرور به
فقلت يا اخي اتيتنا زائرا ام داعيا قال هيهات
هيهات بعد المزار واطمأنت الديار فليس لنا قرار
قلت فكيف انت قال بخير وما اجمع التوبة لكل
خير قلت كيف اخي قال ذاك مع الائمة الابرار قال
قلت ما امرنا قبلكم قال من قدم شيئا وجده فاغتنم
وجدك قبل فقدك فاصبح اخوه الثالث معتزلا للدنيا
وفرق ماله وقسم متاعه واقبل على طاعة ربه عز وجل
ونشأ له ابن واقبل على المكاسب حتى حضرت اباه الوفاة
فقال يا ابه الا توصي فقال ما لابيك مال يوصي
ولكن اعهد اليك اذا انا مت بان تدفني مع عميك

وان كنت على قبري

وكيف يلذ العيش من هو صاير الى جدث يبلي الشباب منازله
فيذهب رسم الوجه من بعد ضوئه سريعا ويبلي جسمه ومفاصله
ثم تعاهد قبري ثلاثا وادع الله عز وجل لي ففعل الفتى
ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا هاله
وانصرف محزونا فلما كان الليل راى اباه في منامه
فقال اي بني انت عندنا عن قريب والامر جد فاستعد
لسفرك وتاهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل
الذي انت عنه ظاعن الى المنزل الذي انت به قاطن ولا
تغتر بما اغتر به البطالون من طول امالهم فقصروا في
امر معادهم فندموا عند الموت واسفوا على تضييع عمرهم
فلا الندامة عند الموت نفعتهم ولا الاسف على التقصير
انقذهم اي بني بادر ثم بادر ثم بادر قال الشيخ فدخلت
على الفتى صبحة ثالثة عن رؤياه فقصها علي وقال
ما ارى الامر الذي قال ابي الا قد اظلني فجعل يفرق

ماله ويقضي دينه واستحل معامليه وودعهم
وداع من انذر امرا فهو يتوقعه وكان يقول قال
ابي بادر ثم بادر ثم بادر ولا احسبها الا ثلاثة اشهر
واني لهابها او ثلاثة ايام ولعل لا ادركها لانه انذرني
بالمبادرة ثلثا فلما كان في اخر اليوم الثالث دعا
اهله وودعهم واستقبل القبلة وجعل يدعوا
ويستغفر فلما وجد الم الموت سجى نفسه ومد الثوب
على نفسه ثم مات من الليل فمكث الناس ينتابون
قبره فهذه قصة القبور وان فيهم يا ابن اخي لمعتبرا
قال فما ذكرتها الا كدرت عيشي ونحن نحمد الله على كل حال
ونستغفر الله من كل ذنب ونسال الله من كل
خير ونعوذ بالله من كل شر ونستودع الله الكريم
منا ومن والدينا وجميع احبابنا واخواننا ومن احسن
الينا وساير المسلمين ادياننا وامانتنا وخواتيم
اعمالنا وجميع ما انعم الله تعالى به علينا ونساله

160

سبحانه وتعالى لنا أجمعين سلوك سبيل الرشاد
والعصمة من أقوال أهل الزيغ والعناد والدوام على
ذلك وغيره من الخير في ازدياد ونتضرع اليه سبحانه
وتعالى ان يرزقنا التوفيق في الاقوال والافعال
الى الصواب والجري على آثار ذوي البصاير والالباب
انه الكريم الواسع الوهاب لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب والله اعلم بالصواب

الحمد لله وحده وصلى
الله على سيدنا محمد واله
وصحبه أجمعين وسلم